كارلوس فوينطيس

المرآة



ترجمة

محمد صالحي

محمد خلاف

منشورات



وزارة الثقافة

الإيداع القانوني : 9981-822-57-4
ردمـك : 2004/0295
منشـوات وزارة الثقافـــة
إنجاز وسحب : مطبعة دار المناهل، 2004

كارلوس فوينطس

المرآة

مسرحية

ترجمة: صالحي محمد

خلاف محمد

تقديم: صالحي محمد

العنوان الأصلي:

Carlos Fuentes
El tuerto es rey
Editorial Joaquín Mortiz, México, 1975

مقدمة :

عندما نتحدث عن الأدب الأمريكي اللاتيني، على التو تتبادر إلى ذهننا، كقراء ومهتمين مغاربة وعرب، مجموعة من الأسماء لكتاب جعلوا من الإبداع الأدبي بكل أصنافه، في هذه القارة، إبداعا يضاهي بل يفوق ما وصل إليه في باقي أنحاء العالم. فمن منا لم يقرأ لبابلونيرودا، أو لخورخي لويس بورخيس، أو لخوليو كورطاثار، أو لغابرييل غرثيا ماركيث، أو لماريو بارغاس ليوسا، أو لخوان رولفو، أو لكارلوس فرينطس؟ كل هؤلاء وآخرين أحدثوا، ابتداء من الخمسينات، ثورة في الكتابة القصصية والروائية سواء على المستوى اللغوي والتقني أو على مستوى المواضيع المتنوعة والغنية التي كانت منطلقا و أرضية لفضاء كتابتهم.

وانطلاقا من اهتمام المترجمين و الأدباء العرب بهذا العطاء الأدبي الكوني للقارة الأمريكية اللاتينية وتفتحهم عليه وتفاعلهم معه، عملوا على نقل روائع هذا الأدب إلى اللغة العربية وأساسا منها الروائية.

وقد حظي الكاتب المكسيكي كارلوس فوينطس، في هذا الإطار، ببالغ الاهتمام، إذ ترجمت إلى العربية أهم مؤلفاته: **موت أرتيميو كورث** *La muerte de Artemio Cruz*، **الغرينغو العجوز** *Gringo Viejo* **الرواية الأمريكية اللاتينية الجديدة** *La nueva novela hispanoamericana* وكتابات أخرى.

ولد كارلوس فوينطس سنة 1928 ببانما حيث كان والده يشتغل بالسفارة المكسيكية. ونظرا لارتباط والده بالسلك الدبلوماسي فقد عاش متنقلا عبر دول العالم. فما بين سنة 1932وسنة 1942 استقرت عائلته بواشنطن، وهنا تلقى فوينطس تعليمه باللغة الإنجليزية، بعد ذلك انتقل إلى جنيف حيث درس الاقتصاد وتعلم اللغة الفرنسية. وعندما بلغ السادسة عشرة من عمره عاد إلى المكسيك حيث مكث حتى سنة 1965، وقد سمحت له هذه العودة بتوسيع وتعميق معلوماته حول تاريخ وأدب بلاده وقارته. وقد كان لكل هذا ولكل تنقلاته من بلد إلى آخر ومن لغة إلى أخرى الأثر الكبير على كتابته الأدبية.

في مرحلة أولى بدأ فوينطس مسيرته الإبداعية الطويلة بكتابة مقالات وقصص نشرت في

مجلة جامعة مكسيكو وفي مجلات أمريكية. وخلال نفس هذه الحقبة اهتم بالسينما وساهم في إخراج بعض الأفلام، مثل فلم **أبناء سانتشيس** انطلاقا من الرواية الاجتماعية التي كتبها أوسكار ليويس، وفلم **المطاردة** الذي أنجزه باشتراك مع بونويل انطلاقا من رواية **أليخو كاربنتيير** *El Acoso.* وإلى جانب اهتمامه بالأدب والسينما، اهتم فوينطس كذلك بعالم السياسة واختلط به، إذ ناضل في صفوف حركة التحرير الوطنية المكسيكية كما تقلد سنة 1975 منصب سفير للمكسيك في فرنسا، لكنه وبعد سنتين قدم استقالته من هذا المنصب ليكرس حياته للكتابة وللتدريس بعدة جامعات دولية.

اشتهر فوينطس كقصاص وروائي ابتداء من 1954 عندما نشر مجموعته القصصية **الأيام المقنعة** *Los días enmascarados* والتي جاءت بعدها روايته الشهيرة: **المنطقة الأكثر شفافية** *La región más transparente* ، **موت أرتيميو كورث** *La muerte de Artemio Cruz*، **المنطقة المقدسة** *Zona sagrada*، **أرضنا** *Terra nostra*، **الغرينغو العجوز** *Gringo Viejo*، **كولومبوس الغير المولود** *Cristóbal nonato*

والقاسم المشترك بين هذه الروايات هو تناولها، على مستوى المضمون، لتاريخ المكسيك والتحولات التي عرفها والمحطات الأساسية التي مر منها منذ عهد الاثطيك إلى يومنا هذا، وكذا تناولها لمشكل الهوية الثقافية الوطنية والفردية. إضافة إلى أعماله الروائية هذه، كتب فوينطس مؤلفات حول الأدب والرواية في أمريكا اللاتينية، وحول ثورة 68، وحول واقع المكسيك الثقافي والفكري. ولم يقف عند هذا الحد، بل جعل من إبداعه إبداعا متفتحا على كل الأصناف الأدبية، وأساسا المسرح.

فقد ألف ثلاث مسرحيات، وهي:

المرآة 1970 *El tuerto es rey* (*) ، **كل القطط خلاسية** 1970 *Todos los gatos son pardos* ، **سحلبيات تحت ضوء القمر** *Orquídeas a la luz de la luna 1982.*

والقاسم المشترك بين هذه المسرحيات الثلاث هو موضوع الهوية الفردية والوطنية الذي تتم معالجته من زوايا متعددة.

في مسرحية **كل القطط خلاسية** لا يخاطب فوينطيس العموم، بل يتوجه إلى من لهم

الترجمة الحرفية للعنوان الأصلي هي : الأعور ملكاً

معرفة بتاريخ المكسيك القديم، فهو على طريقة المسرحي الإسباني الكبير بايلي إينكلان *Valle Inclán* يخلق مأساة تقوم على التمرد، التمرد ضد الأسطورة المزيفة والمقدسة وضد مجموعة من التقاليد الجامدة.

يعتبر فوينطيس أن غزو المكسيك جاء نتيجة لقاء بين قوتين، سلطة القدرية التي تطبع قائد إمبراطورية الأثيك موكتيثوما Moctezuma وسلطة الإرادة عند قائد غزو المكسيك إيرنان كورطيس Harnán Cortés وصلة الوصل بينهما هي الهندية مالينتشي _مارينا مترجمة وعاشقة كورطيس وزوجته الغير الشرعية، أم المكسيكيين.

يكشف السؤال المكرر الذي يطرحه الإمبراطور موكتيثوما على نفسه "ماذا يجب أن أفعل؟" عن عجزه الوجودي لفهم أن السلطة تكمن في إرادة الفرد، وأن الشخص الذي يتخلص من الخوف هو وحده القادر على السيطرة على القوات التي، حسب تقاليد الماضي، تضبط حياته وأفعاله. فانهزامه بالتالي بل استسلامه لا يعني سوى انتصار الإنسان الذي تحول إلى إله نيتشي جديد، ألا وهو الغازي الإسباني كورطيس.

ونصل إلى اللحظة الأساسية في المسرحية عندما تتوسل مالينتشي، باسم الإنسان المكسيكي، إلى كورطيس:

"سيدي، حاول أن تفهمنا، أتح لنا الفرصة، لا تمسح أحلامنا الأرضية برمحك، لا تحطم هويتنا الهشة. خذ كل ما هو مبني هنا وشيد بالقرب منا. اسمح لنا بالاستفادة من عالمك، واستفد من عالمنا".

إنه صوت الشعب الذي يريد أن يحافظ على هويته وينفتح في نفس الآن على كل ما هو جديد. ويجيء جواب كورطيس على هذا الشكل: "قلت إن ماله اسم هو فقط الذي يوجد. اسمعي إذن الكلمات التي أخلق بها العالم، الكلمات التي ستتكرر والتي تبقى مكتوبة: الإيمان، الكرامة، الشجاعة، الحيلة، العنف، الجريمة، الغزو". هذه هي كلمات الغازي، وهي في نفس الآن كلمات الإله البشري الجديد الذي يرفض أي تضييق وأي سلطة خارج إرادته. يتأسف الإمبراطور المهزوم ضحية قدريته على هذه النهاية: "إن هذه المأساة كانت مكتوبة، لقد سمعت التكهنات... أنا وحدي كنت أعرف الحقيقة، لا تقاوموا يا إخواني، إن انتصارنا أكذوبة وانهزامنا هو الحقيقة".

أما الشعب المكسيكي، ابن ووارث هاتين القوتين المتناقضتين، فهو ضحية الماضي وصوت المستقبل.

ويطرح علينا فوينطيس السؤال: "من يتكلم باسم الشعب؟" لا الآلهة و لا الثوار، الشعب نفسه هو الذي يجب أن يبحث عن مصيره وأن يوجهه.

يأتي التأكيد على موت موكتيثوما على يد الغزاة الإسبان ليس لجعل هذا الإمبراطور الإله شهيدا، بل لوضع حد للفكرة التقليدية التي تقول إن هناك فرقا جوهريا بين "الآلهة" و"الإنسان". كل القطط خلاسية وكذلك الآلهة والإنسان.

نفس هذه المواضيع ونفس هذه الأسئلة تتكرر في المسرحية الثالثة لفوينطيس: **سحلبيات تحت ضوء القمر**، لكن هذه المرة انطلاقا من الوضع الراهن الذي يعيشه الإنسان المكسيكي. موضوع المسرحية يدور كله حول البحث عن الهوية الفردية والتمزق الثقافي الذي يعرفه بعض المكسيكيين المستقرين بجنوب الولايات المتحدة.

مكسيكيتان تغادران المكسيك في اتجاه الشمال، لتفرا من حظهما التعس، إذ لا أحد هنا اعتنى بهما أو شغلهما كممثلات. تستقران بإحدى الأحياء الفقيرة بمدينة بينيثيا (كاليفورنيا) وكل واحدة منهما تتقمص شخصية الممثلتين السينمائيتين المشهورتين في المكسيك: ماريا فيليكس ودولوريس ديل رييو. تبذلان مجهودا كبيرا لإقناع نفسهما وإقناع الجمهور بأنهما فعلا الممثلتان المكسيكيتان، لكنهما تصابان بالخيبة واليأس عندما لا يتعرف عليهما الجمهور.

السحلبيات هي ورود لها شكل ولون غريبين، وقد ترمز "للكمال" و "النقاء" و "الطهارة"، الضوء هو رمز للعراء، القمر بدون ضوء هو انعكاس للشمس. وكل هذه الرموز يعكسها مضمون المسرحية.

تعتبر ماريا ودولوريس نفسهما مثل الورد الذي ذبل وفقد حيويته وجماله بفعل مرور الزمن والسنوات التي قضاها كممثلات، وبفعل المعاناة التي عشناها مع المخرجين السينمائيين. لقد كانا عبارة عن سحلبيات "خنقها واحرقها ضوء وسائل الإنارة". والآن هما عجوزتان ممدودتان تحت ضوء القمر.

وحتى نقرب القارئ العربي من الإبداع المسرحي لهذا الكاتب ومن عالمه الغريب والواقعي في نفس الآن عملنا على ترجمة مسرحيته الأولى، المرآة، التي عرفت شهرة عالمية منذ ظهورها، إذ تم عرضها بالفرنسية في فيينا في إطار المهرجان الدولي للمسرح، كما تم عرضها في المهرجان الرابع والعشرين لأفينيون، وفي برشلونة سنة 1971، لكي تعرض بعد ذلك في كل من باريس، وبروكسيل، ونيويورك، ولندن.

تعتبر مسرحية **المرآة** دياليكتيكا مبهما بين دوناطا وخادمها، الدوق، هذا في الوقت الذي تنتظر فيه الأولى عودة زوجها الذي سافر لكي يجرب حظه في إحدى كازينوهات دوفيل. المشهد عبارة عن صالون من طراز الإمبارطورية الثانية، والشخصيتان **(دوناطا والدوق)** أعميان يسكنان منزلا مهجورا ويمارسان نوعا من السادية الكلامية المتبادلة، وكل واحد منهما يجهل عمى الآخر. يتحدثان عن عدة أشياء، يتضاجعان ويتباغضان ويتحابان في نفس الوقت، كل واحد منهما يعمل على إحباط إرادة الآخر وجعله يستسلم له.

يحدث هذا الخصام الغريب في جو يطبعه توتر عاطفي قوي. وهنا تكتسي عودة الزوج الوشيكة أهميتها.

هذه الشخصية الغامضة، "هذا السيد الذي يرى ويعرف كل شيء، هذا الغائب الكبير" يظهر في آخر المسرحية ويجد نفسه وحيدا وبيته مهجورا. هذا الحاضر الغائب ليس إلا الدوق، الخادم والزوج في نفس الآن.

تعتبر العلاقة بين دوناطا والدوق علاقة انفجارية ومتبدلة تصل إلى حد العبث. فهناك تبعية الواحد للآخر، وهذه التبعية المتبادلة تحدث التوتر الدرامي وتؤدي في نفس الوقت إلى وضعية عبثية لمساواة اجتماعية غير متساوية. فإسم الدوق نفسه يوحي بالتشابه بين السيدة والخادم، وكلاهما يبحث عن التواصل والإرضاء العاطفي.

لكلا الشخصيتين ألعابهما، ألعاب عبثية، مثل لعبة البرج، ولعبة الاعتناء الواحد بالآخر، ولعبة الضمائر، و لعبة الأحلام. أشياء غريبة، ودون تفسير، تجري في البيت خلال غياب الزوج: انقطاع الماء، بائع الحليب لا يضع قنينات الحليب في مدخل البيت كالعادة، الجزار يرفض أن يتعامل معهما كزيناء، حكاية الظرف الوهمي، استعمال المرآة. وتعتبر هنا

سخرية المرآة التي يتأمل فيها أعميين وجههما سخرية عبثية. وهذا اللعب يعتبر سخرية ذاتية، ما دام الدوق نفسه أغمى، وما دام ما يقوله لدوناطا يمكن أن ينطبق عليه. وتعتبر، في هذا الإطار، صورة الرجل الترابي العنصر الأكثر عبثية في المسرحية بكاملها ولها علاقة بالرسالة التي تنتظرها دوناطا من زوجها (هذه الرسالة لا تحتوي سوى على قليل من التراب). تحاول دوناطا أن تخدش المخلوق الترابي وتحمل التراب إلى فمها فإذا بالدوق يصرخ من شدة الألم. آخر سخرية لاذعة هو ما يحصل في اللحظات الأخيرة من المسرحية، عندما تعود نفس الشخصية، الدوق، بلحيته الشقراء لكن هذه المرة فوق عينه اليسرى رقعة سوداء؛ يعود بصفته زوج دوناطا، بعد أن ربح في الروليت. لكنه يفاجأ عندما يجد البيت مهجورا، وعندما يعلم أن دوناطا والدوق قد خدعاه وفرا.

فالدوق في آخر لعبته، يتقمص شخصية الزوج. هذا الدوق / الزوج عند عودته ووصوله إلى بيته ينادي زوجته مارينا، أو بعبارة أدق ما لينتشي (اسم الفتاة الأهلية التي كانت عشيقة وترجمانة هيرنان كورطيس الذي غزا المكسيك). لكن بعد بضع دقائق يظهر المحاربون، وعندما يسأل القائد الدوق / الزوج: "ماذا تفعل هنا؟". يجيب هذا الأخير: "إن البيت بيتي". ويصرخ فيه القائد قائلا: "أثبت ذلك"، فيرتبك الدوق / الزوج وينفي أن البيت بيته فيشرع في الاستغاثة بشكل جنوني بمارينا، وبالدوق، وبأبنائه.

كل هذه العناصر المتداخلة والمعقدة تجعل من الصعب تصنيف هذه المسرحية وإعطاء معنى واضح لها. إن قصة دوناطا والدوق، بمعنى من المعاني، ليست سوى قصة آدم وحواء، اللذين بعد ارتكابها للخطيئة، بقيا ينتظران غضب وعقاب الإله. لكن في هذه الحالة جاء العقاب موجها للزوج الذي قضى وقته يلهو تاركا زوجته وحدها. كما يمكن اعتبار قصة دوناطا والدوق المأساوية قصة البحث عن الهوية من خلال السيطرة على الآخر ومن خلال الصراع الإنساني اليومي.

تقديم المؤلف

إن حكاية **المرآة**_ إن صحت تسميتها حكاية- جد بسيطة: سيدة _ دوناطا _ وخادمها _ الدوق _ يعيشان في بيت مهجور، كلاهما أعور، لكن كل واحد منهما يعتقد أنه هو وحده الأعور، وأن الآخر سليم البصر، كل واحد منهما يعتقد أن الآخر حارسه ودليله. وبما أن هذه المسرحية تخضع لعنصر التشويق، فإن كليهما يكتشف شيئا فشيئا أن الآخر أعور مثله. طبعا بما أننا وضحنا الآن هذه الحكاية لم يعد هناك تشويق. لكنهما وبالإضافة إلى هذا، ينتظران منذ ستة أيام عودة السيد زوج السيدة: الأحداث تجري في ليلة ما قبل اليوم السابع.

من هو السيد الذي يرى ويعرف كل شيء، هذا الغائب الكبير الذي يحدد بصرامة قوانين تسيير بيته وبعد ذلك يترك من يسكنان فيه عرضة لمغريات الحرية؟ إغراء خرق القوانين؛ وليس خرق القوانين غير التمتع بالحرية: التحول إلى آخر، التخلص، في نفس الوقت، من الغياب المكترث ومن الشك المختلط للسيد. وجود آخر بالنسبة للسيدة: شابة، أخت خادمها، عاشقة أخيها، خادمة عاشقها، امرأة العالم القديم التي تصل إلى مدار بيراكروث في ليلة أسطورية لا تنسى، امرأة العالم الجديد التي تشيد رواق الصيانة بالمخمل المخطط للعالم القديم. وجود آخر بالنسبة للخادم: أخ سيدته، سيد سيدته، عاشق سيدته وأخته، نائب السيد، مجهول حيث يوجد، مطلوب حيث لا يوجد. أن تكون آخر مع آخر: أن تكون متواطئا؛

أن تكون متواطئا، معناه أن تعوض التضامن الطبيعي _الوجود، الإخاء، الحب- بالتضامن الإرادي: السرقة، والفساد، والصراع، والجريمة؛ إنهما متواطئان وسارقان منحرفان ومصارعان، ومجرمان ضد السيد.

كتب أوكتابيو باث *O. Paz* حول شخوص **المرآة** هذه السطور: "إن العلاقة بين الشخوص الثلاثة تتضح على عدة مستويات: السيكولوجي، والاجتماعي، والأدبي، واللاهوتي، الخ. وعلى كل مستوى تظهر حلقة رافضة: رفض السيكولوجيا، التاريخ، الأدب، اللاهوت... وبالإضافة إلى ذلك فإنها تعرف في كل مستوى من مستويات الشخوص الثلاثة (أو بعبارة

أدق: الشخصية الثالوث) تحولات مختلفة: دوناطا-امرأة العالم، دوناطا-بوفاري، دوناطا إليكترا-حواء، الخ. هذه التحولات تقابلها تحولات أخرى متعددة، للدوق-الخادم، الدوق-القديس، الدوق-الطاغية، الدوق-الأخ، الخ. أما الشخص الوحيد الذي لا يتغير فهو السيد، أي إله، أب أو مؤلف النص. دوناطا والخادم هما اسقاطات، أبناء السيد، مما يجعلنا نرى الكل، على المستوى اللاهوتي، كتأويل جديد للخطيئة. لكن السيد كذلك يعتبر مسؤولا عن خطيئة مخلوقاته ومن هنا تأتي معاقبته من طرف المحاربين الملتحين. ويتعلق الأمر ليس بعقوبة أخلاقية بل وجودية. يعاقبونه في نفس الوقت لوجوده في منزله ولعدم وجوده فيه: كل شيء عند السيد هو عبارة عن خطيئة... فكرت منذ مدة _يقول باث في الأخير- إن كتابة كتاب سيئ تتطلب نفس العناء والعمل الذي تتطلبه كتابة كتاب جيد، إن لم نقل أكثر. وهذا جد عبثي وجائر مثل فعل خلق الإله: كتب الإنسان والكون بشكل سيئ.

يهجر السيد بيته، ويذهب ليلعب الروليت في كازينو دوفيل، ويترك زوجته بين يدي خادمه. في لحظة من لحظات المسرحية يقول الدوق لدوناطا: "إذا اختار كل واحد شخصا وتكلف به فعليا وبشكل كامل... فهذا هو الخلاص.

سيكون ذلك هو مهنتنا... الاعتناء بشكل تام بشخص آخر... لن يكون لدينا وقت للقيام بشيء آخر... سنكف عن العمل، عن التفكير، عن الشك، عن القتل، عن الصلاة... عندئذ سوف لن نخاف لا من آبائنا ولا من أنفسنا ولا من الآخرين."

إن الخطأ الفادح للسيد أنه لم يكن متضامنا مع مخلوقاته، أو ربما أن تضامنه من نوع ساخر: منحها سراب الحرية لكي ترغب فيها، وعندما ترغب فيها، ستشعر بها كضرورة وكفقدان.

هي مخلوقات حرة لكنها لا تستطيع الخروج من البيت، تتمتع بالحرية لكنها لا يمكن أن تحب، أن تشرب، أن تفكر. هذه الضرورة وهذا الفقدان يرغمان المخلوقات على أن تكون مخالفة لخالقها وعلى أن تبحث عما لا وجود له عنده: التضامن، والعزاء، والهم المشترك لكن التضامن مرفوض على مستوى العمل (علاقة السيد _ العبد بالنسبة لدوناطا والدوق)، مرفوض على مستوى السياسة (إذ أن الشخوص يعيشون في مدينة النهاية، مهجورة لا

يسكنها سوى الزوج، بل وحتى هذه الأخيرة تتفكك عندما يهرب الدوق في الأخير وتبقى المرأة وحيدة وغير قادرة على أن تسمي شخصا، إذا كان الشخص يعني الصوت الموجه إلى الآخرين، لإحداث صوت (per-sonare) مرفوض على مستوى الحب، الذي يبدو مثل فاكهة طانطالوا: الحب هو حب الامتلاك، وامتلاك الشيء يجعل من جديد هوية الحب والتضامن الذي لا يمكن الدفاع عنها تتلاشى بل وأكثر من ذلك، وحتى نعود إلى نقطة الانطلاق وإلى ملاحظة باث الدقيقة، التضامن مرفوض على مستوى الإبداع، إذا أن المخلوق يرفض شكله الداخلي (إذا كان الإله هو الذي خلق، فلماذا خلق شكله سيئ: فلماذا السيدة سيدة والخادم خادم وكلاهما أعمى؟). يرفض تبعيته الترتيبية في علاقته مع خالقه (التراتب الاجتماعي) ـيقول الخادم-: هي التضامن المغدور"): يريد المخلوق الذي لم ينل التضامن أن يغتال الخالق الذي رفض له التضامن ويريد أن يقتله فقط لكي يحتل موقعه غير المرغوب فيه، لكي يتخلص على الأقل من نظرته، لكن عندما يقوم بذلك، فإنه يجعل تضرره الخاص متساويا مع الموت، وبذلك لا يبقى لديه سوى حل واحد: تذليل عدوه، الخالق، يحول الحياة إلى مسرح، إلى عرض منعكس للإبداع، لكن ليس هناك إبداع بدون خطيئة، تنتظر الخطيئة الممثل بعد كل كلمة ينطقها. إن مخاطرة العرض ليست إلا رهانا شجاعا على مخاطرة العيش.

كل عرض معرف ببنيته، وأن نقول بنيته يعني نظام أو علاقات التبعية. لقد عملت المرآة على أن يلتقي الدال، البنية، بالمدلول، الرمز التيمي: وهوية كليهما عبارة عن علاقة تبعية. لكن هذا بدوره يخلق مشكل الفضاء، أو بعبارة أخرى، مشكل الفضاءات المتزامنة حيث يلتقي المعروض والعرض. إنها فضاءات، في نفس الوقت، مستقلة وشاملة ـشفافية وعتامة كصنوان- والتي يجب أن تشمل المشهد الواقعي، المكون من أثاث من عهد الإمبراطورية الثانية داخل بيضة كبيرة من ضوء وغبار. فضاء أفقي، أرضي، داخل فضاء آخر عمودي، جوي. ما بين الفضائين تقع تنقلات المسرحية، فالمسافران اللذان لا يتحركان إذن، السيدة وخادمها، يعتبران شخصيتين أمريكيتين لاتينيتين تتنقلان باستمرار من الحنين إلى الأمل، من الذكرى إلى الهاجس، من أمريكا الإسبانية من وحل إلى أوروبا

من غبار، من هذا الفضاء الأفقي للأشياء وامتلاكها إلى فضاء عمودي لطبيعة لا يمكن امتلاكها، من غابات طاباسكو إلى أرصفة باريس، ومن الانشغالات النهائية)انتظار الموت) إلى الانشغالات الأصلية (خلق الحياة). بمعنى أننا أسياد كل هذا الفضاء الأمريكي المفتوح والمجهول حيث كل الأشياء ليس لها اسم بعد وحيث تتعايش كل العصور مثلما في روايات كاربنتيير، لكننا نريد أن نملك فضاء ليس لنا، فضاء صالة أجدادنا الأوروبيين الصغيرة، فضاء بستان بقلي كسيح حيث تزهر، خلال بعض فصول الربيع، شجرة الأجاص اليابسة، وحيث أعطي لكل شيء اسم، وحيث الغصر الوحيد، مثلما في قصص بورخيس، هو عصر الموت المفكك في وهم خزانة أو متاهة.

إن النسيج الأبدي لدوناطا السيدة هو نقطة الوصل ما بين الفضاءين وما بين كل الفترات: تحكي الحائكة *La tejedora* قصصا بصوت مرتفع: مثل بينيلوب، لكي تنجو من اليأس، ومثل شهرزاد، لكي تنجو من الموت.

مكسيكو، أبريل 1970

من العمق المثلج للجدول ذاك

رأيت وجها ينهض، إنه وجهي

"لقد عدت (قال)، هذه هي يدي"

كان يتذكر كل شيء:

عندما كنا أنا وهو لا نتعارف بعد

وكنا واحدا، منغرقا في الدهشة وبدون تاريخ،

عندما فقدته لما نظرت إلى الأسفل، عندما لم أرد أن أكون حارسه.

توماس سيغوبيا

الاعتراف بالمجهول

إلى ماريا كاساريس

توزيع الأدوار

تم عرض مسرحية المرآة لأول مرة مترجمة إلى الفرنسية تحت عنوان *Le borgne est roi* في مسرح آنْدِير واين *Teatro Ander Wien* بفيينا، النمسا، يوم 25 مايو 1970 في إطار المهرجان العالمي للمسرح الذي نظم بمناسبة يوبيل لودفيغ بان بتهوفن.

دوناطا : ماريا كساريس *Maria Casares*

الدوق : سامي فراي *Sammy Frei*

الإخراج : جورج لافيلي *Jorge Lavelli*

الملابس والديكور : أوغوستو باثي *Augusto Pace*

المشهد

صالون من عهد الإمبراطورية الثانية، مازالت تطبعه بقايا من الأناقة، لكنه على العموم جد عتيق. في خلفية الصالون من الجهة العليا، يوجد سرير الزوجية. على يمين السرير كومة كبيرة من الجرائد والمجلات. على اليمين قريبا من الوسط يوجد باب. وهناك كذلك، خوان الزينة يحتوي على مرآة، دولاب كبير وعتيق، صوان صغير ذو أدراج كثيرة، كرسي هزاز، مقعدان بدون متكإ، مائدة شاي بالعجلات.

يوضع الأثاث المشار إليه في منحدر وسط دائرة سوداء.

منحدر ثان يؤدي إلى صالات المسرح.

الفصل الأول

رجل أسمر اللون بلحية شقراء يزيح الستار وكأنه يزيح ستائر نافذة كبيرة. ضوء واحد بكثافة ضوء الشمس يضيء وجهه ويرغم عينيه على أن تطرفا وأحيانا على حجبهما بيده الأخرى. الرجل يرتدي جاكتة وسروالا مخططا، بعنقه ياقة اصطناعية ورباط عنق بصدر القميص.

الدوق:

انتباه. (**وقفة. يستمر في إزاحة الستار ببطء.**)

بالأمس حلمت مرة أخرى نفس الحلم. (**وقفة. يغطي عينيه بيده.**) إنها قصة نحات ينحت تماثيل عجيبة. لكنه لا يبيعها. إنه يفرط في حبها. فيملأ معمله بالتماثيل، ولا يحصل على سنت واحدة. يأتي الدائنون ويتوعدونه: عليه أن يبيع بعض التماثيل ليسدد دينه. لكن النحات يرفض. فالتماثيل من ابتكاره. وقد وهبها حياته. لذلك يقول الدائنون: لعل النحات يعتقد أنه تمثال هو أيضا، بما أنه ليس هناك فرق بين التماثيل والإنسان بالنسبة له. إنهم يدبرون له مشروعا بسيطا ومروعا. يرغمون النحات على أن يرى نفسه في المرآة: يبينون له أنه من لحم و دم. يرى النحات نفسه في المرآة... يحطم تماثيله بنفس الأدوات التي استعملها لنحتها... ثم يهجر وإلى الأبد مسكنه. ولم يعد أحد يعرف عنه شيئا.

عندما انتهى من إزاحة الستار، تضاءلت كثافة الضوء وبدا الصالون مضيئا بضوء النهار. بالقرب من السرير تجلس سيدة على كرسي هزاز وظهرها إلى الجمهور. يمد الدوق يديه إلى الجمهور على طريقة الأعمى الذي يتلمس طريقه.

الصوت: صوت قنابل، نيران، مفرزة طائرات.

تطقطق المرأة أصابع يدها.

دوناطا:

اظهر يا دوق، هل أنت هنا؟... ما ذا تهمس؟

(يمشي الدوق على حافة الخشبة وهو يخاطب الجمهور.)

الدوق:

هل تعلمون يا سادة أن التمثال يعني السرور، وإن الكوكب السيار يعني المتسكع، وأن الكون هو مرادف للزخرفة.

أليس كذلك؟

(تستمر المرأة في اهتزازها)

دوناطا:

لا جدوى من هذا يا دوق. لن نتفق أبدا. إضافة إلى ذلك، إنني تعبت.

الدوق:

إن سيدتي تجهل الجذور.

دوناطا:

إن المنزل جد ضيق والوقت جد قصير حتى نلعب لعبة البرج.

(الدوق يتردد، يبتهل إلى الجمهور.)

الدوق:

هل نلعب لعبة الاعتناء الواحد بالآخر؟

دوناطا:

هذا نقاش آخر لا نهاية له. بالإضافة إلى ذلك أنت غشاش.

(يبتسم الدوق إلى الجمهور.)

الدوق:

إنكم تقولون لي أنت. لكن أنت لا تعني شيئا. فأنت تشبه قميصا عتيقا مرميا على هامش الطريق. وأول المارة يمكن أن يلبسه.

دوناطا:

طيب، لكن أنا التي أقول لك أنت. وهذا هو الفرق.

يدير الدوق ظهره إلى الجمهور. يتوجه إلى الجهة الخلفية، وبمجرد ما يقوم بذلك، يفقد كل اتزانه فيمشي وهو يتحسس طريقه، متعثرا، إلى أن يصل إلى جانب دوناطا.

ينحني ويسألها وهو قريب من رأسها.

الدوق:

سيدتي... دوناطا؟

دوناطا:

أنا دائما هي أنا، ولست في حاجة لأن أمثل.

الدوق:

دوناطا؟

دوناطا:

أنت لست أحدا لأنني يمكن أن أقول لأي كان أنت. دونك هذا. فكفى من لعبة الضمائر.

(يتوجه الدوق من جديد إلى الجمهور متوسلا متضرعا.)

الدوق:

يمكن أن نلعب لعبة الأحلام.

دوناطا:

لا داعي للإلحاح. إنك عاجز عن حكي أحلامك لي.

الدوق:

لكن سيدتي، الأهم هو أن حلمي ليس ملكا لي. هذا هو المضحك. ألا ترين؟ الشيء المضحك هو أنني أحلم حلم غيري.

دوناطا:

أعرف ذلك، الحلم يخترقك فقط. ألم يبعث زوجي أية رسالة؟

الدوق:

أنا هو الوساطة.

دوناطا:

لم يبعث ولو بطاقة بريدية؟

الدوق:

لقد رحل زوجك إلى دوفيل في سفر عمل. هل تدعي سيدتي أن أحلامها لها وحدها؟ ومن ملكها الخاص؟

دوناطا:

إني أخاطبك.

الدوق:

لقد أخبرنا قبل سفره وقال "سوف أجرب حظي في الكازينو لمدة أسبوع. " ليس من الضروري أن يبعث لنا برسالة يكرر فيها ما...

دوناطا. تقاطعه:

فعلا. كلما حلمت إلا وأبدعت شيئا جديدا، شيئا لا يمكن لأحد أن يحلمه سواي. (**تكف عن الاهتزاز**). أما حلمك، هو على العكس من ذلك سجن يدور حول نفسه.

الدوق. بعيدا:

نفس الحلم دائما.

دوناطا:

هل تعرف الجحيم؟ إنه تكرار أبدي وبدون أمل. لا معنى له.

الدوق:

إن سيدتي مخطئة. المعنى هو أن حلم سيدتي يتحول إلى حلمي وحلمي يتحول إلى حلم سيدتي.

(دوناطا ترفع يديها فوق رأسها، وترسم بأصابعها صورة الصليب)

دوناطا:

الله يحفظنا!

(يضحك الدوق ويضرب بقبضة يده على الصوان.)

الدوق:

لا، لا، ببساطة يا سيدتي ما تحلمينه ليس لك بكامله، بينما ما أحلم أنا هو كله ملك لك. أترين يا سيدتي؟ إنني أمنحك في الحقيقة الجنة... جنتك، وأكون أنا من الخاسرين.

دوناطا:

وماذا تربح من الخسارة؟

الدوق:

معرفة معنى ما أحلمه إذا ما أصبح حلمي جزءا من حلم سيدتي. الأمر يستحق كل العناء. أليس كذلك؟

تستوي دوناطا في جلستها. شعر مستعار. الحاجبان منتوفان... ومصبوغان بخط رقيق. لباس من نوع 1930: عريض، مقور، داكن اللون، قماش شفاف حول عنقها وفوق صدرها. فروة ثعلب على كتفيها. عصا بيضاء مسنودة إلى جانب الكرسي الهزاز. تأخذها دوناطا وتقف وقفة مهابة.

دوناطا:

إنك تريد أن تسجنني في حلمك. سأحلم دائما نفس الحلم، أما أنت يمكنك أن تحلم أشياء مختلفة كل ليلة. إنني أرفض.

تتقدم. يقف الدوق وسط الدائرة السوداء للمنحدر. تتوقف دوناطا. تحرك رأسها باحتراز. تقوم بمجهود. تفشل. تستسلم.

دوناطا:

هيا، أعد ما قلته.

الدوق:

ما ذا؟

دوناطا:

ما قلت إنك تحلمه كل ليلية.

الدوق:

إنها قصة نحات.

يخرج الدوق من الدائرة السوداء. وتدير دوناطا ظهرها إلى الدوق.

دوناطا:

ما ذا قلت لك، إنك تكرر نفس الشيء منذ خمسة ايام.

الدوق:

أرغموه على أن يرى وجهه في المرآة.

دوناطا:

إنك تضجرني. في حين أن واجبك هو تسليتي.

الدوق:

أثبتوا له أنه من لحم و دم.

دوناطا:

هل أنت واثق هذه المرة من أن زوجي لم يبعث بأية رسالة؟

الدوق:

يحطم تماثيله.

دوناطا:

في السابق كان دائما يبعث رسائل...

الدوق:

يهجر مسكنه إلى الأبد.

دوناطا:

وبعد؟

الدوق:

لا شيء، يهرب. ولم نعد نسمع عنه شيئا.

دوناطا:

حينما حلمته كان الحلم مسليا.

الدوق:

سيدتي... دوناطا؟

دوناطا:

بما أنني أحلم كل ليلة شيئا مغايرا، فإنني قد أكون حلمت مرة ما حلمك اللعين بتماثيله.

الدوق:

وماذا جرى؟

دوناطا:

لن أقول لك. وليظل حب استطلاعك معلقا.

صمت تام.

يتوقف الدوق منتصبا.

يسمع صوت خافت لورق يحك.

تتوقف دوناطا كذلك وكأنها تصغي، يتقدم الدوق متلمسا طريقه إلى أن يصل إلى حافة الخشبة. يركع. تتقدم دوناطا هي الأخرى نحو مقدمة الخشبة، في صمت تام وبحذر مبالغ وفي يدها العصا البيضاء. يعثر الدوق على شيء، يرفعه من الأرض. يتصرف كما لو كان بين يديه ظرف رسالة. ينتصب، يخبئ الظرف ويده خلف ظهره. تتفحص دوناطا في صمت. تتقدم. يتلافاها الدوق. تستمر الحركات الإيمائية لدوناطا المتشككة وهي تبحث عن الدوق، بينما الدوق يتجنب أي تماس جسدي مع سيدته. نظراتهما لا تلتقي أبدا.

يتراجع الدوق ببطء نحو السرير.

دوناطا:

هل بعث زوجي رسالة؟

(يقف الدوق بجانب السرير. يفتح في صمت الظرف الوهمي).

الدوق:

لا. تعرفين يا سيدتي أنه لا يكتب أبدا عندما يقوم بسفر عمل.

(يدخل أصابعه داخل الظرف. يستسلم.)

دوناطا. بدون حماس:

حينما شارك في الحرب، آنذاك نعم... كان يكتب لي كل يوم بدون انقطاع.

(يفرغ الدوق محتوى الظرف على السرير.)

دوناطا:

كان يومها في حاجة لمراسلتي. كانت رسائل جميلة. كان يعطينا فيها كل شيء. ربما لأنه

كان يحتاج كل شيء. كما يسمي الأشياء... كل الأشياء.

(يلقي الدوق بالظرف بين كومة الجرائد قرب السرير.)

الدوق:

لقد كتب كل شيء. لا تنتظري يا سيدتي رسائل أخرى.

دوناطا. ببرودة:

أنا، لا. وأنت؟

(يهز الدوق كتفيه)

الصوت: أصوات الزنابير.

دوناطا. منفعلة:

أغلق النافذة.

الدوق:

هل تحس سيدتي بالبرد؟

دوناطا:

لا. إنه أزيز تلك الزنابير الموجودة في الحديقة. هذا ما يثير أعصابي.

(يسير الدوق إلى مقدمة الخشبة. يخمخم في اتجاه الجمهور.)

دوناطا:

إنه فصل الربيع الأسود.

الدوق. يخمخم:

يبدو أنني شممت رائحة ما.

دوناطا:

شيئا جديدا. أليس كذلك؟

الدوق:

لا. معذرة. الرائحة المعتادة دائما.

دوناطا:

دائما. نقولها على عجل. منذ متى دائما؟

الدوق:

أو دائما منذ متى؟

دوناطا:

متى دائما.

الدوق:

دائما لا تقتضي متى.

دوناطا:

ماذا؟

الدوق:

إذا كانت متى فلا وجود لدائما. علينا أن نختار.

دوناطا:

دائما ومتى.

الدوق:

منذ أن سافر زوج سيدتي، منذ ستة أيام.

دوناطا:

أحص جيدا. أنه سافر منذ خمسة أيام. من المهم ألا تخطئ.

الدوق:

أؤكد لك أن السيد سافر منذ ستة أيام. كنت أضع علامة على تواريخ التقويم الغريغوري.

دوناطا:

مثل السجين. أليس كذلك؟

الدوق:

إن وجودي هنا بمحض إرادتي. أحسب للوقت حسابا وأؤكد لك أنني لم أخطئ.

دوناطا:

إنني لا أتذكر سوى خمسة أيام، وحدس الأنثى لا يخطئ أبدا. أتقول لي أنني نسيت بعد مضي مائة وأربعة وثلاثين ساعة آخر مرة قبلت فيها زوجي واستنشقت فيها عطر الخزامى في شعره ورقصنا معا الطانغو في هذا الصالون؟ (وقفة (وأنت تتجسس علينا من المطبخ، أسمعت؟ لا تنكر، أنت تحسدنا...

الدوق:

أؤكد لك أنني كنت شاهدا غير متعمد.

دوناطا:

غير متعمد؟!

الدوق:

المكان جد ضيق والأصوات تسمع عبر الجدران. يجب أن تعترفي سيدتي بأنك ودعت زوجك في جو خاص من الضوضاء، كما لو أن غايتك غي إثارة اهتمامي...

دوناطا:

ومتى سمعت ضوضاء الوداع هذا كله؟

الدوق:

بالفعل. منذ خمسة أيام.

دوناطا:

آه...

الدوق:

لكنني أؤكد أن السيد سافر منذ ستة أيام.

دوناطا:

لا شك أنك رأيته وهو يخرج.

الدوق:

تعرفين يا سيدتي أنني في المطبخ أعمل بما أسمعه.

دوناطا:

آه... السمع تتقنه... وماذا عن الشم؟

الدوق:

سيدتي...

دوناطا:

أية روائح تصلك من الحديقة؟

الدوق:

نفس الروائح. دخان الأوراق المتساقطة. رائحة الروث المحترق. رائحة الضباب المستنقع. هذا إذا كان الضباب يستنقع ويبعث رائحة. لا أدري. وأريج لا يمكن الخلط بينه وبين غيره. وفرو ذئب مبلل. هذا ما أشمه.

(يشرع الدوق في جمع أواني الشاي.)

دوناطا:

إنك تخدع نفسك يا دوق. لو أمعنت النظر لرأيت أن شجرة الأجاص أخرجت براعمها. وهذا يعني أن النسخ يسري من جديد. كل شيء مسموح له بالنمو. الأغصان تخضر. هل تتذكر؟ شجرة الكستناء...)وقفة. ترتب فروة الثعلب فوق كتفيها.) بالإضافة إلى ذلك لقد كفت الأمطار عن التساقط. لا يمكن أن يوجد حيوان مبلل في الضواحي. لقد مر ذلك. لكنك لا تكترث.

(يتقدم الدوق بالطاولة المتنقلة.)

الدوق:

إن الاهتمام بما يجري خارج البيت ليس من واجباتي.

(دوناطا تقودها عصاها تصل إلى أحد المقاعد وتجلس.)

دوناطا:

إذن، ما هو واجبك؟

الدوق:

إنك يا سيدتي تؤذين باستيائك. فكل واحد منا يقوم بما هو متفق عليه. لا غير.

(يصب الدوق الشاي. دوناطا ومن خلال حركاتها تجد صعوبة لإمساك الأشياء.)

دوناطا:

أؤكد لك أن واجبك هو الاهتمام البالغ بما يجري بالداخل والخارج والأعلى والأسفل. تتقاضى أجرا للقيام بهذا. نعطيك خمسمائة فرنك جديد ونوفر لك المسكن والأكل مقابل شيء واحد: اهتمامك المطلق.

الدوق:

سيدتي تؤول القواعد حسب هواها. **(يتقدم نحو حافة الخشبة.)**

تعرف سيدتي جيدا أن واجبي هو رعايتها... أمنع... أؤمن... على أي... ليس هناك مبرر لكي أتخلى عن التوقيت المحدد وعن العادات المعهودة.

دوناطا:

هذا ما قلته. هذا بالضبط ما قلته صباح اليوم، عندما لاحظت أن فصل الربيع قد أتى. يجب أن تتابع حياتنا مسيرتها العادية. أعد.

(يقوم الدوق بحركات إيمائية تجسد ما يقوله، بينما تدندن دوناطا لحن رقصة فالس.)

الدوق:

يجب أن أوقظ سيدتي على الساعة الثامنة. الفطور على الساعة الثامنة والنصف. يستمر العمل حتى منتصف النهار. الموسيقى من الثانية عشرة إلى الواحدة. بعد ذلك الغذاء. القهوة أمام الحديقة. قيلولة خفيفة. خلال المساء أشغال أخرى. الشاي على الساعة الخامسة.

دوناطا:

والرسالة تصل في نفس الساعة.

الدوق:

محادثة إلى حدود الساعة السادسة.

دوناطا:

المكوث في نفس المكان...

الدوق:

من السادسة إلى الثامنة أنهي عملي ويمكن لسيدتي أن تتأمل.

دوناطا:

...وقد أكون مهاجرة أزلية.

الدوق:

أعود إلى العمل على الساعة الثامنة. العشاء على الساعة التاسعة ثم إلى الفراش باكرا.

(دوناطا تصفق.)

دوناطا:

ممتاز. ممتاز يا دوق. أنت تغمرني بالإعجاب. أقول لك أنك خادم مثالي.

الدوق:

إن الإنسان يتكيف مع تبدل الفصول. ما دام تبدل الفصول لا يتكيف مع الإنسان.

دوناطا:

لم يكن علي أن أعلق على آلـ. آلـ. آلجديد معك...

الدوق:

إن سيدتي تشرفني كذلك بصمتها وكلامها. من أكون...؟

دوناطا:

أظن أن احتفاظي بما كنت أعرفه نوع من التأنق المشروع.

الدوق:

أرادت سيدتي أن تتمتع وحدها بأريج البراعم الغضة ورائحة الأرض المحروثة بالزرع وبانحسار الثلج المبكرين.

دوناطا:

إذن هذه حقيقة. إنها حقيقية!

الدوق:

إذا أردت أن تصدقي ذلك، فيمكن أن أقول لك أن الضباب سيزول بعد ايام معدودات،

ستنطفئ النيران، ولن تبحث الذئاب عن قوتها هنا، وستكنس ريح الجنوب الأوراق المتساقطة التي ينبعث منها الدخان...

دوناطا:

إنك فلاح ساذج. ومن السهل تضليلك. أستطيع أن أغير التوقيت حسب رغبتي وأرفض التوقيت الصيفي في غضون شهر يناير وتوقيت الشتاء خلال أي يوم من أيام غشت.

الدوق:

إن سيدتي تفعل بي ما تشاء. فأنت تسمي الأشياء تبعا لرغباتك. ورغبات سيدتي هي رغباتي. هل يمكن أن أحمل أواني الشاي؟

دوناطا:

لا. أتركني أتلذذ بحثالة الفنجان.

(يتوقف الدوق داخل الدائرة السوداء.)

الدوق:

هل تسمحين أن أخرج إلى الحديقة؟

دوناطا. تدق بفنجان الشاي على الصينية.

أبدا. أتريد أن يكشفونا؟

(يتقدم الدوق نحو مقدمة الخشبة.)

الدوق:

لن يرانا أحد. إن ظلام الليل دامس. لن يخطر ببال أحد أنني قد عدت. قد يخلطون بيني وبين تلك الشجرة.

(يشير بيده إلى الجمهور.)

كثمراتنا.

(يغمز بعينه إلى الجمهور ويحاول إزاحة بعض الأغصان بيديه.)

لا يمكن أن نرى أي شيء... لعنة الله على نبتة العوسج.

دوناطا:

لماذا؟ إنها تشكل سياجا جميلا بل آمنا.

الدوق:

إن سيدتي لم تنتبه. لقد نمت بكثافة مفرطة.

دوناطا:

اقتلعها.

الدوق:

لا شك أن جذورها ضاربة في أعماق الأرض.

دوناطا:

اقطعها.

الدوق:

قطعها يعني قطع أنفسنا.

دوناطا:

انتظر. ألا تسمع الزغاريد؟ لقد عادوا. ألا تسمع؟

لا شك أنك أصم يا دوق...

أنغام بيانو. يفتح الدوق نوافذ الصالون على مصراعيها.

تسمع قعقعة زجاج مكسر يعاد تركيبه كما لو كان تكسير.

مسجلا على شريط وعند إرجاع الشريط إلى الوراء يعاد تأليف القطع الزجاجية. تضع دوناطا يديها على أذنيها.

دوناطا:

أقفل النوافذ!

(أقفل الدوق النوافذ. صمت. ثم يسمع صوت قطرات ماء مسترسلة. فوق السقف. يرهفان السمع لمدة ثانية واحدة.)

دوناطا:

ألا تسمع؟ لعلها ثقب في السقف. الناس هنا لا يعتنون.

الدوق:

هل تسمح سيدتي بأن أصحح ما قالته. نحن من لا يعتني.

دوناطا:

أتؤكد؟

الدوق:

هذه هي الحقيقة. لم يبق في البيت سوانا.

دوناطا:

لا. والبواب.

الدوق:

لقد أمرتني سيدتي أن أطرده.

دوناطا:

أنا؟

الدوق:

أنسيت يا سيدتي أن البواب كان مبالغا... في الارتشاء.

دوناطا:

آه. تهريب من حين لآخر.

الدوق:

أنا آسف. زوج سيدتي علم بذلك. وكعربون للطاعة والحب أمرت بأن يطرد البواب.)وقفة).
أنا نفذت فقط.

دوناطا:

في هذه الحالة فإن المسؤول هو البستاني.

الدوق:

عن ماذا يا سيدتي؟

دوناطا:

كان عليه أن يعتني، لست أدري، بكل الواجهة الخارجية للبيت، وليس فقط بقطع الأغصان اليابسة والنباتات الطفيلية. ليس لنا خدم كثيرون، كان عليه أن يتيقن من حالة السقوف،

فشهر مارس سيعرف العواصف ويمكن أن نستيقظ ونجد أنفسنا في الخلاء. أطرده، إنه كسول.

الدوق:

لا شك أن سيدتي تتذكر أنها قالت نفس الكلمات بالضبط خلال عاصفة أكتوبر. وآنذاك طرد البستاني.

دوناطا:

البستاني...؟ بستانينا... كيف تريد أن أتذكر كل شيء؟

الدوق:

من أجل هذا أنا موجود هنا. لأعتني بسيدتي. وأعتني حتى بذاكرتها.

دوناطا:

إنك تنسى بأننا نحن من يتذكرك.) وقفة). عندما كان قد نسيك الجميع، تذكرناك وجئنا بك إلى هذا البيت. اعتنينا بك. لا تنسى ذلك عندما تتحدث عن الذاكرة السيئة.

الدوق:

إن حديث سيدتي ممتع، لكني مشغول.

(تحرك دوناطا رأسها وهي قلقة.)

دوناطا:

لا... انتظر...أين أنت؟ ... يادوق...

الدوق:

يجب أن أحضر ما يلزم للعشاء.

(تهدأ دوناطا.)

دوناطا:

أين تعلمت إتقان الطبخ؟

الدوق:

في بلدتي. إن سيدتي تقول إنني فلاح. ونيتها ليست مدحي. لكن بفضل ذلك ـولتعذرني

سيدتي إذا قلت شيئا مبتذلا- أجدني أقرب إلى بعض الأشياء الأساسية التي... تحاول حضارتنا... نسيانها.

دوناطا:

الأكل بشراهة، أليس كذلك؟

الدوق:

الاقتيات، إن أردت. كل ما في الأمر هو أن الناس يتذكرونني بحكم حنكتي في الطبخ، ولأنني اكتشفت بعض الأطباق وأضفت بعض الأعشاب.

دوناطا:

بإمكانك تعويض البستاني.

الدوق:

بإمكاني، نعم. لكن مهامي اليوم من نوع آخر.

دوناطا:

أظن أنني لن أتعشى اليوم. خذني إلى السرير مباشرة.

الدوق:

يجب أن أعده.

دوناطا:

ما هذا؟ ولماذا هوليس جاهزا؟

الدوق:

عندما أصبح الصبح كان فوقه وحل.

دوناطا:

سريري الأنيق؟ فوقه...؟

الدوق:

هذا ما حصل.

دوناطا:

سريري الجميل بأعمدته الأربعة ومتكئه الخشبي الفاخر؟

الدوق:

تماما.

دوناطا:

سريري الملكي الذي اشتريته في لا سان ماريتين؟

الدوق:

يكفي نفضه قليلا.

دوناطا:

سريري العذراوي للزواج؟

(ينهمك الدوق في جمع الأطباق وغسلها، الخ.)

بالأمس كذلك لم أستطع أن أنام، يادوق.

الدوق:

يجب على سيدتي أن تتعود.

دوناطا:

هل تعرف بماذا شعرت؟

الدوق:

إن السقف كان يهوي ببطء إلى أن خنق أنفاسك...

(يسير الدوق إلى أن يصل إلى الدولاب، يخرج ذئبا ميتا ويجره إلى وسط الخشبة.)

دوناطا:

لا، وقع ذلك قبل أمس. بالأمس أحسست بأن حرارة السرير لم تكن كحرارة باقي أماكن البيت.

(يأخذ الدوق سكين المطبخ ويشرع في تمزيق بطن الذئب.)

دوناطا:

هل فهمتني؟ كان السرير أكثر برودة أو أكثر حرارة، لست أدري...

الدوق:

من الطبيعي. إذ أن ذئبا قضى اليوم فوق السرير. وستتذكر سيدتي أنها كانت تموت من

البرد أول أمس وطلبت مني أن أدفئ السرير. دخل الذئب من الحديقة فوجد الحل. ألم تسمعي العواء؟ زيادة على ذلك، كان السرير قريبا جدا من النافذة. كانت الريح تتسلل. فغيرت مكان السرير.

(تنتصب دوناطا.)

دوناطا:

غير كاف. مهما فعلت لن أستطيع أن أنام. فيما مضى كنت أحلم بالملائكة بفضل تعاطي الكحول. أرجوك، ابحث لي عن منوم على الأقل.

الدوق:

إن النوم لن ينفع في شيء وبالتالي سيحتاج الجسم إلى الكحول أكثر، وبما أن الكحول لن يفيد ستطلبين منوما آخرا. إن سيدتي تقضي على نفسها في دوائر. إن العيب هو فساد رغبة سيدتي.

(يتمضمض الدوق ويجفف يديه.)

دوناطا:

هذا خاطئ. العيب هو أن يفعل الإنسان ما لا يرغب فيه. وأنا لي رغبة في الشراب. وأرغب في أن أنام.

الدوق:

إن سيدتي تعلم أن زوجها أصدر تعليمات صارمة. الإفراط ممنوع.

(تلقي دوناطا بالثعلب الذي تحمله فوق كتفيها إلى الأرض بحركة غضب.)

دوناطا:

لكن الإقلاع عن الخمر نوع من الإفراط! (تمد ذراعيها وتهز أصابعها (.قدني إلى خوان الزينة. بسرعة. أجلسني أمام المرآة.

(يتوقف الدوق عن الاشتغال.)

الدوق:

إن سيدتي تعرف جيدا ...

دوناطا:

لا، لا أعرف شيئا، خذني. إنه أمر.

يسلم الدوق ذراعه إلى دوناطا، يتنفس، ينفخ صدره ويطأطئ رأسه شيئا ما مطيعا. دقات الجرس التي تعلن عن الساعة السادسة مساء ترغمهما على السير بإجلال كما لو كانا في زفاف أو بلاط. بينما يتوجهان نحو الخوان يتعثران بكرسي. تبعد دوناطا ذراع الدوق برصانة. يدق الدوق على الأرض برجليه وينحني. تجلس دوناطا أمام الإطار الذي ليس به مرآة وتقوم بحركة من يفتح زجاجة عطر.

دوناطا:

أتعلم؟ أعتقد أنني قد غالطت نفسي. وأظن أني أقدر أن أفعل ذلك مرة أخرى.

الدوق:

إذا كانت هناك خدمة يمكن أن أقوم بها...

دوناطا:

ابق هنا، ورائي، رهن إشارتي.

(يطأطئ الدوق رأسه.)

ناولني الفرشاة.

(يناولها الدوق فرشاة وهمية.)

شكرا.

(تصبغ دوناطا أحد حاجبيها.)

لنرى، لنرى... كل هذا الوقت... قل لي هل القوس مرسوم بشكل جيد...

الدوق:

يمكن أن أتصوره جيدا.

(يبتعد الدوق وتستمر دوناطا في عملية تجميل نفسها.)

دوناطا:

يا دوق...

الدوق، ساه:

نعم.

دوناطا، بشكل سلطوي ومرح:

قل أي لون للشفتين تفضل...

(يغطي الدوق عينيه بيده.)

الدوق:

لا أستطيع أن أميز بين الأوان من هنا.

دوناطا، قلقة:

عن ظهر قلب، عن ظهر قلب...

(يرخي الدوق يده ويقترب ببطء من دوناطا.)

الدوق، متعب:

الماخينطا .El magenta

دوناطا:

تعال. أدلك لي ذراعي وكتفي.

(يمرر الدوق يديه على كتفي دوناطا.)

الدوق:

أوامر سيدتي هي رغباتي.

(يلامس الدوق ببطء كتفي المرأة.)

دوناطا:

يا دوق. سأنزل مرة أخرى من هذا السلم الكبير. **(تستقيم دوناطا وتتكلم وهي تقوم بما تقوله.)** سيرفرف ستار الكسوة بلمسة خفيفة من يدي المحجوبة بين الثنايا. سيبرز وجهي ويختفي وراء حركات المروحة. سيكون السلم الصغير طويلا وسنستعيد نحن النساء كل حقوقنا: سنحتجب لكي نظهر للعيان، سنستسلم لنرفض أنفسنا، سنحلم أنفسنا لكي نحلم... الحجابات والأكاليل، القفازات والريش، الأثواب والفروات البيضاء الناصعة، لباس

داخلي دقيق الصنع، ولزج ومرصع بالأطرزة والأواصر، الموسيقى الجميلة، والزيجات ترقص مجموعات مجموعات فوق حلبة الشطرنج. الكل سيدور بسرعة. لكن عندما أبرز في أعلى السلم سيقف العالم. (**وقفة**).

إنهم يرونني يا دوق. (**وقفة**) .لقد أبصروني.

تمد دوناطا يدها ويمسك بها الدوق. تستمر الحركة بينما تتابع دوناطا خطابها: ينحني الدوق ويقبل اليد الممدودة التي عندما تتحرك دوناطا تنفلت من شفتي الدوق، لكي تقوم بحركة رشيقة تعبر عن التحدي والاستسلام تسمع نغمات فالس نمساوي. يمسك الدوق دوناطا من خصرها ويرقصان.

دوناطا:

إني مدهشة. أنا الجمال الذي يستوقف الجميع. أنا أمنية الجميع. أنا المستيئسة. ظهوري مبهر إلى حد أن البعض يعتقد أنه يرى الجنون في عيني. حضوري غير متوقع إلى حد أن البعض يقول أنه يتذكر الإعلان عنه. ظهوري لا ينسى إلى حد أن البعض يؤكد أني لم أكن هنا . (**يرقصان**).

وصلت في جو من الصخب ودقات الطبول وأقواس النصر. وطأت قدماي أرضا غريبة لكي أجعلها ملكا لي. وحتى أعدائي هتفوا وبكوا . كنت ذاكرة وتوجس الجميع، هذه المرة فقط. (بدأ الرقص يمتزج بصوت بريزات الكهرباء المختلة .(هات يدك. ستكون ملكي وخادمي هذه الليلة. سأسجل اسمك عشر مرات في كراسي. أعدك بكل رقصات الفالس.

يسمع صوت ذئب صغير جريح. يصطدم الدوق ودوناطا بالكرسي والمقاعد، تلتوي أرجلهما في العصي الملقاة فوق الأرض ويسقطان منكبين على وجههما، يترنح الدوق ويمسك بدوناطا، ترتخي هذه الأخيرة وتتقلب وتبقى ملقاة على بطنها في ظلام الصالون المتزايد، الذي أعلنت عنه صفارة إنذار الميناء، ذات الصوت البطيء والطويل والشبحي. تترنح دوناطا، ويسعل الدوق.

دوناطا:

كانت لحظة رائعة ووهنة مثل تبدل فصول السنة والانتقال من بلد لآخر. كان القصر يبدو

وقتها مثل شلال معدني، أتذكره اليوم متجلمدا وهندسيا. إنه منطقي جدا حتى يثير الإعجاب، إنه معقول جدا حتى يقنع.

الدوق:

هل تعرف سيدتي أن النظام يعلن الرعب.

دوناطا:

السيدة تعرف فقط أنها محط إعجاب عند الجميع هذه الليلة.

(ينفض الدوق الغبار وهو على ركبتيه).

الدوق:

هناك نساء يعجب بهن أمام الملأ، وأخريات لا ينلن ذلك إلا على حدة.

دوناطا:

لقد كان من نصيبي الجائزتين معا. وهنا يكمن إفراطي. والآن أنهض. رتب فراشي.

(يقف الدوق ببطء).

الدوق:

قد أتجرأ وأضيف أن الجزاء عقاب. في ظروف أخرى قد تكون نهاية سيدتي رائعة مأساوية. وانطلاقا مما هي عليه الأشياء، فإن سيدتي لم يبق لديها سوى شهوة الحنين.

دوناطا:

لا يا دوق. لقد هزمني الأمان والغبطة. هذا ليس بكثير.

إذا لم أشعر بالأمان خلال تلك الليلة، فسأرقص مع كل الرجال المتواجدين هناك. لقد كان لي الشرف أن أختار رجلا واحدا. أول من رأيت. اخترته اعتباطا. لأنه كان يشبه أكثر الشخص الذي كنت أبحث عنه. كان ينقصني الاحتيال. لم يخامرني الشك. لم أتخيل. ظننت أن اللذة كانت موافقة للقدر. لقد استهزأ بي التاريخ وبين لي أنه عندما نعتقد أن اللذة تساوي القدر فإن ثمنها يكون هو الجنون. والجنون قدر بلا قدر.

الدوق:

عليك أن تتذكري.

دوناطا:

لا، أنت تعرف أنني لا أستطيع مهما حاولت، مهما...

الدوق:

علينا أن نعرف ماذا حصل حتى لا يتكرر...

(تزحف دوناطا وهي تمد ذراعيها نحو الدوق).

دوناطا:

قلت لك إني لا أستطيع! كل ما أتذكر هو أنه كان يشبه القصر، والضوء، والموسيقى، كان يشبهني ويشبه شبابي، وجمالي، ولباسي،... وأمني.

الدوق:

سيدتي مبذرة في ربط الأفكار.

دوناطا:

مبذرة بقدر ما أنت بخيل. لا أستطيع النهوض إن لم أخذ شيئا ينعشني.

الدوق:

سيدتي ثملة من الذكريات الغير الكاملة. استلقي ونامي لحظة إن شئت.

دوناطا:

ولأية غاية؟ إني مستلقية.

الدوق:

على الفراش. إن الأرض باردة.

دوناطا:

والليل لا ينتهي، والذاكرة هاربة، وفضولك فظ.

الدوق:

لقد عدلت عن متابعة سماع قصتك.

دوناطا:

نعم، لأنك تريد أن ألتمس منك أن تحكي قصتك.

الدوق:

عوض أن تخترعي متناقضات مشكوك فيها، من الأفضل أن تفكري في رثيتك.

دوناطا:

معك الحق. أنت متطلع مثالي للشيخوخة.

(يساعدها الدوق على الوقوف).

الدوق:

للاستعداد للشيخوخة. لا تكوني متشائمة جدا ولا تتعجلي كثيرا.

دوناطا:

في رأيك، هل ما زالت جميلة؟

الدوق:

لم أعرفك... من قبل. ليس لدي مرجع للمقارنة.

دوناطا:

ألا تفوح مني رائحة زكية؟ ألا يعجبك صوتي؟ خذني إلى الكرسي الهزاز. **(يقوم الدوق بذلك).**

والآن أحضر لي شغل الطرز. سأقضي الليل ساهرة وأنا أشتغل، يداي أحسن مرافق لي منك. سأشتغل وأفكر. أفكر إذا سمحت، أليس كذلك؟... أفكر في كأس خمر. أتصور أنني ثملة. أتصور أني حرة. **(تستلقي على الكرسي الهزاز وتغمض عينيها).**

الدوق:

سيدتي تفكر فقط أنها تفكر. وفي الواقع فإن سيدتي مفكر.

دوناطا:

أتكلم.

الدوق:

سيدتي متكلمة.

دوناطا:

من أين أتيت بهذه الترهات؟

الدوق:

هكذا. إنها بنات أحلامي.

دوناطا:

سأقول لك إذن إنك فقط حلم الآخرين. امتثل لأوامري، ابحث عن طرازي يجب أن أنهيه قبل أن يعود زوجي.

(يشرع الدوق في البحث).

دوناطا:

آه يمكن أن أتصّور بكل حرية أنك انصرفت...

أتصور أني خرجت إلى الحقل الذي يحيط بنا... إلى فصل الربيع الذي حل قبل الأوان... أنت تتصرف والنور يأتي...

الدوق:

سيدتي تحس بفتنة الفراغ.

دوناطا:

سكوت، أتصور ذلك لأنني حرة. عدت فرحل النور... لماذا كل هذا الظلام؟ كفى من اللعب. آمرك بإشعال الضوء.

(يعثر الدوق على قطعة القماش الصغيرة).

الدوق:

نسيت سيدتي أن التيار الكهربائي معطل.

(يمد القماش لدوناطا. تشرع في النسيج).

دوناطا:

أ صحيح ما تقوله؟ وما السبب؟

الدوق:

بكل بساطة لعدم أداء الواجب المترتب. لقد مر عون وكالة الكهرباء هذا الصباح ليخبرني بذلك.

دوناطا:

ماذا؟ تكلم معك؟

الدوق:

لا، أدخل رسالة من تحت الباب.

دوناطا:

إذن لم تكن الرسالة التي كنت تنتظر؟

الدوق:

سيدتي تعتقد أني أنتظر رسالة. هذا غير صحيح لقد حلمت ذلك.

دوناطا:

والأظرفة التي يلقى بها كل يوم من تحت الباب على الساعة الخامسة مساء؟ أتظن أني لا أسمع ذلك؟

الدوق:

إنها إشعارات أخرى. لقد قطعوا عنا الماء. وبائع الحليب أخبرنا أنه لن يترك زجاجة الحليب في العتبة، والجزار يطالب باستخلاص دينه.

دوناطا:

لماذا؟ ألم يترك زوجي نقودا؟

الدوق:

زوجك في ملهى دوفيل. لأمر ما.

دوناطا:

أي طعام ستقدم لي؟

الدوق:

يجب كتمان السر. من الأحسن ألا تحاولي معرفة ذلك.

دوناطا:

لماذا يعاملوننا كالمجرمين؟ لماذا لا يثقون بنا؟

كلهم يعلمون أن زوجي إنسان شريف، اشتغل طوال حياته حتى لا ينقصنا شيء. كنا دائما نسبق أوان الدفع... (**وقفة**) والآن يكفي أن نتأخر قليلا لكي يعاملوننا كـ....

الدوق:

مجرمين. نعم، لقد قالت سيدتي ذلك.

دوناطا:

ولم تحتج؟ ألم تقل لهم إن زوجي سيعود يوم الأحد وسيدفع كما يجب؟ ماذا تنتظر؟ لتر من حليبي؟ ألا تستطيع توبيخهم على سفاهتهم؟ ما الفائدة من وجودك هنا؟ (**وقفة**) آه. أحيانا أظن أنك لست هنا، وأنني أتكلم بمفردي...

يسمع صوت صفارة إنذار الميناء سبع مرات.

الدوق:

سيدتي، الساعة تشير إلى السابعة.

دوناطا:

إنه وقت فاتح الشهية.

الدوق:

لقد قرر زوجك بصريح العبارة أنه لي الحق في الاستراحة من الساعة السادسة إلى الثامنة. وقد تأخرت الآن ساعة عن موعدي.

دوناطا:

إنه الوقت الملائم لشرب كاس خمر، قلت لك، لا تكن معتدا بنفسك أكثر من اللازم.

الدوق:

سيدتي تعلم أنه ليس هناك كحول بالبيت.

دوناطا:

وذلك الخمر الذي خبأته؟ قل؟ (**وقفة**) أيها البخيل التعس.

الدوق:

لقد قالت سيدتي كلمتها الأخيرة.

(يأخذ الدوق العصا البيضاء والقبعة ويتوجه نحو النافذة في مقدمة الخشبة).

مساؤك سعيد

(كان على وشك الخروج إلى حيث الجمهور لما أخذت دوناطا عصاها وقامت بذراعيها ممدودتين وهي تتوسل).

دوناطا:

يا دوق:... دوق، لا، لا تذهب. أصغ إلي. حتى لو كانت لديك ساعة فراغ، بماذا ستفيدك؟ يمكن أن نشرب كأسا معا، أليس كذلك؟ كما لو كنت صديقة أو مجهولة لا يهم.

(تقترب من الدوق. تتردد لحظة).

أنت الآن خارج أوقات العمل.

(تتجرأ على مس الدوق لكن بخجل).

لا يستطيع زوجي أن يصرخ في وجهك...

(تضع يدها على كتف الدوق).

"اسقوا الظمآن" هذا ما جاء مكتوبا في الجريدة

(يبتعد الدوق بشكل متصلب وتبقى يد دوناطا في الهواء).

يا دوق... أليس كذلك؟

الدوق:

لقد تمتعت سيدتي بملذات كثيرة في حياتها. أما الآن فعليها أن تكف عن هذا، احتراما لنفسها وللآخرين.

(تترك دوناطا ذراعيها تتهاوى).

دوناطا:

حسنا، لا تدعني لشرب أو أكل أي شيء.

ضميرك سيؤنبك على ذلك. **(وقفة)** .لكن أبق هنا. **(تمد ذراعيها، ثم تتركهما يهويان مرة أخرى).**

ثم، إلى أين ستذهب في هذه الساعة؟ **(يضع الدوق القبعة على رأسه).**

الدوق:

حاولي أن تتذكري أن هناك حياة خارج هذه الجدران الأربعة.

دوناطا:

تريد أن تقول إنك ستلتقي بالخياطة بباب المتجر؟ وسترافقها إلى السينما؟ وبعد ذلك ستضاجعها؟

الدوق:

سيدتي...

(تمسكه دوناطا من ذراعه بعنف.)

دوناطا:

أي فلم شاهدت مؤخرا أيها الخادم؟ مع الأسف كل المتاحف مغلقة في هذه الساعة، لكن هناك أشياء أخرى كثيرة يمكن القيام بها؟ يمكن أن تجلس في مقهى وترى الشباب يمرون أمامك وتغير منهم. أليس كذلك؟ كما تغير منا أنا وزوجي عندما يضاجعني.

(ينفلت الدوق.)

هنا يكمن الفرق. أنت لا يراك أحد عندما تضاجع امرأة. ترهق نفسك، جامدا، غائبا مع مجهولة في إحدى غرف المومسات بمونطبارناس لا تنكر، تضاجع امرأة لا تبالي بك، تبيع لك حبها.

الدوق:

أنا أشتغل لكي أعيش.

دوناطا:

هل خلبت يوما لب امرأة أيها الخصي؟ هل شعرت بالخوف مرة من زوج غاضب يفاجئك كما يحصل في الأغاني الشعبية القديمة، قل؟

الدوق:

أنا لا أنتظر جزاء.

دوناطا:

هل أحبك أحد لجمال محياك؟ ولو مرة واحدة؟ قل؟ هل أحبك أحد رغم رائحة المطبخ التي تفوح منك ورائحة عرقك التي تعبر عن عملك الحقير وأنت دائما في خدمة الآخرين؟

الدوق:

أتمنى لو كان بودي أن أنقسم إلى ثلاثة حتى أعتني بسيدتي كما يليق بها؟

دوناطا:

مثلما تعتني بخياطتك؟ التي تضاجعها كل يوم أحد؟

الدوق:

الآنسة مارينا لها إسم.

دوناطا:

لا يهمني إسمها. يهمني أن أعرف هل تعتني بها وتحرسها مثلما تفعل معي... هل تفعل ذلك بنفس الاهتمام؟

الدوق:

الآنسة مارينا تعتني بنفسها.

دوناطا:

وأنا لا، ليس كذلك؟ أنا لا أستطيع أن أخطو خطوة واحدة بدونك؟

الدوق:

الفائدة متبادلة. سيدتي محتاجة لي وأنا محتاج لسيدتي.

دوناطا:

متملق. أنت في حاجة لخمسمائة فرنك جديد، محتاج لسقف وطعام...

الدوق:

ليس من الضروري أن تحط سيدتي من رفعة عمل شريف. المراتب الاجتماعية إهانة كافية.

دوناطا:

المراتب الاجتماعية؟

الدوق:

التضامن المغدور.

دوناطا:

أنت الذي تغدر كل الكلمات التي تنطقها. عندما نتكلم عن الشغل تكون أنت سلبيا. أنت هنا لا لشيء إلا لتمنع كل شيء. أنت المنع، مثلك مثل الظلام، مثل الموت. لا تقل أبدا نعم، دائما لا، لا، لا...

الدوق:

سيدتي تخطئ وتتناقض. كل شيء في هذا العالم تأكيد. أن أقول لا معناه نعم للنفي الذي تنسبه لي سيدتي.

دوناطا:

لا أنسب لك شيئا. أصغي لك. أشمك.

الدوق:

أفضل أن أفكر أني مجموع الأنساب الحزينة لسيدتي.

دوناطا:

صاغر، جبان، لا تقدر أن تعيش معتمدا على نفسك. لي اليقين أنك حتى وأنت بين أحضان الآنسة مارينا تتخيل نفسك تنفذ أوامرنا، وأن لذتك وخطيئتك وبذاءتك هي رغباتنا... أنت خادم حقا.

الدوق:

ببساطة، أظن أن سيدتي وزوجها سيعترفان بي يوما ما.

دوناطا:

الاعتراف بك؟ عن أي شيطان تتحدث؟

الدوق:

عن شيطان التماثل يا سيدتي.

دوناطا:

تجرأ على القول أننا متماثلين. نحن هنا معا ليس إلا، محبوسان هنا اضطرارا. وهذا لا

يجعلنا متساويين. امح من دماغك هذا أيها العبد.

(تهاجم دوناطا الدوق، تنزع سترته. يبقى الرجل مرتديا فقط صدرية صلبة وقميصا بدون أكمام مثل مهرج).

أنت هناك تطيع بدقة كما يمكن أن يفعل أي خادم آخر. هيا. أمرك أن تناولني كأسا من الخمر.

الدوق:

أنا هنا لكي أمنع سيدتي من شرب الخمر.

دوناطا:

"أنا هنا لأمنع" ... أبله. السيدة لم تشرب قط. السيدة سكرت. السيدة يعجبها أن ترضع، أن تعالج نفسها، أن تثمل، أن تعربد، أن تشرب الخمر إلى آخر حد. السيدة يفتنها السكر!

الدوق:

أنا لا أنتظر جزاء.

دوناطا:

منافق. وفي الوقت الذي تسكر أنت فيه خفية، سكرة، بدون همة، بدون نزوات، في صمت ولوحدك.

الدوق:

أشتغل لأعيش.

دوناطا:

لا تقاطعني أيها اليتيم. لقد التقطناك من الجدول. وجدناك مهجورا تموت من شدة الجوع بين سيارتين لم تدهساك بأعجوبة وكنت قد بنيت عشا من الجرائد وسط الشارع. لم تلفت انتباه أحد. لم يتذكرك أحد. بل وصلتنا أخبار عن موتك. لكن زوجي قرر البحث عنك، قال إنك الخادم المثالي، جوهرة. معجزة. لا أدري، أنا لم أكن أعرفك من قبل، لكني أثق بما يقوله زوجي. هو الذي أتى بك إلى هنا. كنت متشردا، مخيفا، بئيسا، حافي القدمين، ترتدي لباسا رثا ويعشش قمل تحت إبطيك. **(وقفة)**. لكنك قنوع. إلهي قنوع دائما.

الدوق:

أحاول أن أبرهن على أمانتي للسادة. أخدمهم بامتنان.

دوناطا:

يمكنك كذلك الاستمتاع بغروب الشمس من على برج إيفيل، أو الذهاب إلى حفلة الأنوار والأنغام. يا دوق. هناك أشياء كثيرة تستحق المشاهدة، ولو شاهدتها كلها لتفقأت عيناك مثل البيض المسلوق. اذهب، عد إلى الشوارع التي أنقذناك منها. اهجرني. شاهد الأشياء. وعندما تذهب شاردا، ستصل الرسالة، سأقرأها ولن أحكي لك شيئا. سوف لن تعلم شيئا. وستضيع الفرصة الوحيدة.

وقفة. ينتقل الدوق إلى الدائرة السوداء وهو يجر رجليه. تفزع دوناطا.

اذهب. ماذا تنتظر؟ أخرج إلى الشارع. شاهد كل شيء ثم عد لتحكي لي عن حالة العالـ... العيون لا تخطئ.

الدوق:

آه يا سيدتي. إنه خطأ فادح. العيون تكذب دائما. ظلام مباغت وشامل. صرخة خانقة للمرأة. يستمر الدوق في الكلام.

أقول لك إن كل نظرة تحتوي على تهديد... إن كل نظرة هي عبارة عن خطر في حد ذاتها. العيون تريد أن تملك كل ما تراه، لكن عندما تقوم بذلك فإنها تلتهمه. لدينا أعين ساتورنو يا سيدتي، كل نظرة تمنعنا من استرجاع ما رأيناه وفي نفس الوقت تظل سجينة المشاهد التي تستولي على نظراتنا وتحول دون استرجاعها. من الخطير أن ننظر، يا سيدتي، إنه شيء جد خطير، ليس هناك شيء يرى بلا عاقبة، لا شيء يمكن أن يرى دون أن يسرق منا جزءا من نظرتنا. وهكذا من نظرة إلى نظرة تلتهب أعيننا، وفي يوم ما نستيقظ عميانا. لم نر شيئا. لقد رأينا كل شيء.

تعود الأضواء رويدا. لكن هذه المرة تظهر دوناطا جاثمة على ركبتيها داخل الدائرة السوداء. الدوق غائب. تحرك دوناطا رأسها ببطء في كل الاتجاهات.

دوناطا:

ماذا تسمع؟

(وقفة)

أيها الدوق.

(وقفة)

أجب.

(وقفة)

أيها الدوق

(وقفة)

أين أنت؟ أيها الدوق لا تشرب وحدك. لا تعمل على إهانتي. لا تخرج إلى الحديقة. لا تستمتع بالربيع خفية.

(وقفة)

يا دوق. اقرأ لي هذه الرسالة.

(وقفة. يسمع صوت الدوق في الخلفية المظلمة للخشبة).

الدوق:

أخطأت. الحقل مملوء بالثلج والشجرة يابسة. ليست هناك أية رسالة.

دوناطا:

أخرج من الركن. أنت تعرف أن الأصداء لا تروقني.

(يخرج الدوق ببطء من الخلف).

الدوق:

أسمح لنفسي أن أقول إن الأمر يتعلق بحيلة تريد سيدتي من ورائها أن تتأكد من وجودي. سيدتي تعلم جيدا أن في مثل هذه الساعة لدي الحق في القيام بما يطيب لي. **(يصل إلى جانب دوناطا).**

دوناطا:

كفى. إن عظامي تؤلمني. لماذا تظل تؤمن بأحلامك؟

الدوق:

لأنها تحققت دائما.

دوناطا:

نعم، ومن سوء حظ الجميع.

(يساعد الدوق دوناطا على القيام.)

دوناطا:

خذني إلى الكرسي الهزاز... علي أن أستأنف العمل... سيغضب زوجي إذا لم أنهيه قبل عودته...(**تجلس تتحسس ما حولها.**)

ابحث لي عن شغلي... بسرعة... أطع... ليس لدي وقت...

(يقوم الدوق بتحريات عبر الخشبة، بينما تستعيد دوناطا أنفاسها.)

دوناطا:

تهمهم:

يمكن أن أفكر في الكحول وفي الربيع وفيك أنت، على الرغم من أن كل هذا لا وجود له...

(يصل الدوق إلى الصوان، يفتح الأدراج ويغلقها بغيظ وبصوت خشن أكثر فأكثر.)

الدوق:

...هنا... أنا متيقنا، أقفل دائما بالمفتاح لقد كسرت الصفيحة !

دوناطا:

تتنهد:

على الرغم من أنني لست أدري، هل برغبتي الملحة يمكن أن أسترجع الماء الصالح للشرب وتوزيع الحليب...

(تسمع خطوات ووقع أحذية الدوق وهو يقترب من دوناطا. يهمس لدوناطا في أذنها بشكل فظ.)

الدوق:

سيدتي وسيدي يدفعان الأجرة. وأنا أقوم بواجبي، سيدتي وسيدي لا يشتكيان مني. وقتي وإخلاصي رهن إشارتك ! . لكن الصندوق الصغير ملكي.

الصندوق الصغير لي !

دوناطا:

أسمعك جيدا. أبعد عني رائحة فمك النتنة.

الدوق:

ليست هذه هي المرة الأولى التي يحدث فيها هذا.

دوناطا:

قدم شكاية للإدارة (**تتحسس ما حولها.**) تعتقد أنه من الهين غشنا. هل لديك حجة تثبت على أن أحد اللصوص لم يقتحم البيت عندما كنا أنا وأنت...؟

الدوق:

لذلك أغلق بالمفتاح. من المستحيل تكسير الصفيحة دون أن يحدث ذلك ضجيجا.

دوناطا:

من عادة اللصوص السرقة ليلا وفي الظلام. أو حين لا يوجد أحد بالبيت. (**تغطي ابتسامتها الخافتة بيدها ثم تتكلم بجدية.**) هل عثرت على طرازي؟ ما الفائدة منك؟ خادم عليك أن تطيعني.

(ينحني الدوق ويبحث عن القماش.)

الدوق:

أركع أمام سيدتي لكني لا أقبل...

دوناطا: غاضبة:

أوه، إنك مثل الفأر القذر. أتظن أنه يهمني حشر أنفي في تلك القاذورات التي تحتفظ بها في مخابئك.

الدوق:

زني الفاظك. إنها ساندويتشات من اللحم المعجون والكافيار. إنها قنينة ريشبورغ وأشياء أخرى، تعرفين قيمتها والتي هي بالنسبة لي...

دوناطا:

متسول. لأنك بخيل فأنت تستحق ذلك بشرائح خبزك مثل نعل الحذاء الملتوي واليابس،

وطعم خبزك مثل طعم الطحلب ونسيج العنكبوت...

(يستقيم الدوق برزانة.)

الدوق:

آه، إذن سيدتي قد ذاقت...

دوناطا:

دون قصد. في بعض الأحيان أفقد الاتجاه ويخيل إلي أن الصوان يوجد في هذه الجهة. وكفى. لا يمكن أن أهتم بترهاتك الليلية كلها.

(يقف الدوق جامدا. يطأطئ الرأس.)

الدوق:

إذا حصل هذا مستقبلا، فإنني سأقدم استقالتي. أقسم. هذه الشرائح وهذه الخمر مثلي وإذا تم استعمالها دون استشارتي فإن سيدتي تهينني بشكل خطير.

دوناطا:

طيب، طيب، حسنا. والآن ابتعد عني، بعيدا، إلي زاوية. احكم عليك بالملل والخيبة، ابتعد عني.

الدوق:

لا يكفي. عندما يعود سيدي سيحاول أن يعرف هل خبزه وخمره لم يمسسهما أحد. لقد كلفني برعايتك.

دوناطا:

إذن لم يبق سوى حل واحد... غدا بالضبط... لا. هذه الليلة... لمادا ضياع الوقت أكثر... الآن، بدون تأجيل... ستأخذ هذه الأكوام من الجرائد القديمة... وستضعها وسط الغرفة.

(وقفة).

لا تقل إنني لست طيبة القلب.

(وقفة).

أنا سيدة البيت، لكن أمنحك نصف الغرفة. الفاصل هو الجرائد، نصف الغرفة لك

والنصف الآخر لي. وافعل ما تشاء في نصف البيت الذي أصبح لك. استغل نزاهتي. تلق رسائلك. أدع الآنسة مارينا إن شئت وتمرغا فوق الأرض.

(وقفة).

أقول هذا بهدوء. بلا غضب. هيا تحرك.

الدوق:

سيغضب زوجك. تعرفين أنه رتب المقالات. تعرفين أنه يطلع عليها كل لحظة ليسحقها بمعرفته.

دوناطا:

متى عرفت البورصة الذعر؟

الدوق:

سيثور إن أنا غيرت مكان منشوراته.

دوناطا:

متى انتهت الحرب؟ متى أعدموا الإمبراطور؟

الدوق:

سيختلط عليه الأمر. لن يعرف شيئا. وأنا سوف أؤدي ثمن الأوراق الممزقة... أنا... يا سيدتي: سيلقي زوجك المسؤولية على عاتقينا نحن الاثنين...

دوناطا:

فليؤدي المصيب عوض المخطئ.

الدوق:

أمتنع عن تنفيذ أوامرك.

دوناطا:

حسنا. سأكون أنا المسؤولة.

الدوق:

كلماتك غير كافية.

دوناطا:

جريء، هل تريد أن أوقع لك اعترافا؟

الدوق:

من الأليق.

دوناطا:

أتظن أنني سأتهمك عندما يعود زوجي؟

الدوق:

من الأفضل أن أحتاط.

(تقف دوناطا. تضرب الدوق على صدره وهي تتكلم. تجره نحو الدولاب الكبير.)

دوناطا:

وكيف سأعرف أنك لن تستعمل اعترافي كشيك موقع على بياض لكي تبرر كل أخطائك أمام زوجي؟ لماذا لم تعتن بالبستان يا دوق؟ سيدي: إن سيدتي لم تتركني أبتعد عنها، وهنا تكمن الحجة. هل ضاجعت الآنسة مارينا، يا دوق؟ سيدي: إن سيدتي أمرتني بذلك. وهذا هو الاعتراف.

(يرفع الدوق فروة ثعلب دوناطا من الأرض. لكنه ثعلب كامل، ليس فقط بجلده بل كذلك بجسمه وقوائمه. ينصب الدوق الثعلب أمامه. تأخذه دوناطا وكأنه ثعلب حي: حركات الدوق ودوناطا تقوم بإيصال حركة للثعلب، حركة تستمر في الوقت الذي تصارع فيه دوناطا الثعلب، تضربه وتدفعه نحو الدولاب بينما يسير الدوق إلى الوراء ووجهه إلى الجمهور إلى أن يقبع قرب الجرائد. هناك، يبدأ العواء بصوت خافت.)

دوناطا:

سيدي، اعترف أنني أطعت سيدتي، سيدي، لقد أرغمتني سيدتي على أن أناولها كأسا من الخمر، وسكرت سيدتي، وخلعت لباسها. وحملتني سيدتي معها إلى الفراش وكانت سيدتي متهيجة مثل ثعلب في لحظة السفاد، كانت سيدتي باردة مثل بخار الحية. كانت السيدة خصبة مثل بقعة من الوحل السيدة السيدة هي المذنبة، ها هي الحجة موقعة بيدها: السيدة تحملت المسؤولية... آه !

تحبس دوناطا الثعلب داخل الدولاب وتتكئ بكل قواها على بابه. تغلقه بالمفتاح. تهرول مثل فأر تشمم رائحة الجبنة في خوان الزينة. تفتح درجا وتأخذ بنوع من البخل الشهواني الشرائح الصغيرة، تأخذ زجاجة خمر وعلبة حلويات، تشد على العلبة وتضعها بالقرب من أذنها لتسمع جيدا خشخشة السيلوفان.

دوناطا:

آه، هذه الأشياء لا يتحدث عنها الأجرب أبدا.

(تمسك الأشياء بين يديها وتعبر عن الشراسة والبخل.)

أيها الدوق....

(يتحول التعبير إلى تعبير عن القلق.)

أجب...

(صمت. القلق يتحول إلى ذعر.)

أجبني الآن... هل أنت واثق من أننا وحدنا هنا؟

(تترك الأشياء تسقط داخل الدرج.)

أيها الدوق... أنت متيقن أن في هذا البيت لا يوجد أحد سوانا... قل لي إن هذا الضجيج يأتي من الخارج.

(تغلق الدرج. تدور دورة خفيفة. تتقدم نحو الدولاب وذراعاها ممدودتان.)

أيها الدوق... قل لي إن لا أحد يستطيع اقتحام بيتنا... قل لي إنه مختوم بالرصاص... قل إن أحدا لا يستطيع أن يستنشق هذا الهواء سوانا... قل لي إنك عدت وإلى الأبد...

(تدق بأصابعها المجموعة على باب الدولاب. بينما هي تتكلم، يتقدم الدوق بوجه مشؤوم من خلفية الخشبة وقد خلع الصدرية والقميص الداخلي. عاري الصدر، يتقدم وبيده أداة لامعة. دوناطا تتكلم وحدها على الباب وذراعاها مفتوحتان على الدولاب.)

أيها الدوق... أنت هنا، أليس كذلك؟... لا تستغل ضعفي... أهذا عدل؟... أجل، يمكنك أن تقول عني نفس الشيء... أريد أن أستغل ضعفك... أحبسك... لكن أنت حبستني يوما كاملا، كل الأيام... دعني ألعب... اسمح لي بهذه اللحظة المرحة، يا صديقي... أريد أن

أكون سجانتك ولو لدقائق محدودة... أنت تراقبني دائما... لكن، يا دوق... أنت لا تعرف زوجي... إن أكثر الناس إثارة للشكوك... لا يؤمن بطيبوبة الناس... هل تعتقد أنه وضع ثقته فيك؟... يا دوق، أشم في هذا البيت رائحة سم الارتياب... لهاث غير راض... أحس بالقرب مني بجلد لزج وشعر نديان... قد يكون ذئبا... أو ثعبانا... لكن يمكن أن يكون... شيئا أخرا... شيئا تركه هنا ليراقبنا نحن الاثنين... لا أجرأ على قوله أمامه... يجب أن يكون هنا باب يفصل بيننا لكي أصارحك بذلك... أنا خائفة... يا دوق... أنا خائفة...

(وقفة.)

كدت أسرق أشياءك... خبزك وخمرك... أعترف ...أعترف أساسا بأنه لم تكن لي قيمة ... ربما ... في يوم ما ... أتمنى أن تدعوني أنت، أجل، أنت، تلقائيا... أن تمنحني أنت ... طعاما وشرابا، شيئا أكله... أعترف الآن أنني خفت... شعرت بنفسي مراقبة، يا رفيقي... خفت أن يثب ذئب من إحدى زوايا البيت السوداء وينتشل الكافيار من فمي... خفت أن يغرس ثعبان أنيابه في حلقومي وأنا أشرب... يا دوق، أيها الخادم الأمين... حارس ليالي... طيف أنهري... سأفتح... **(تقوم بذلك تفتح الدولاب ببطء.)**

يمكن أن تخرج ... بدون ضجيج... سامحني...

عندما يفتح الباب يسمع ضجيج مهول: عويل الذئاب، صفير الثعابين. ينقض الدوق على عنق دوناطا.

الدوق:

وجه السيدة الشاحب وبشرتها اللامعة قد يكونا نتيجة طقس بارد ورطب. عينا سيدتي جد محجبتان، لكنهما لا يقويان على كثمان حزنهما وخطرهما الشهواني وكرامتهما المهزومة...

(يمسح بأصابعه حاجبا من حاجبي دوناطا المصبوغتين.)

المعذرة. يمكن إصلاح الخطأ. السيدة مسنة شيئا ما، لكن نظرا للظروف، فإن المجهود الذي تبذله لتجميل نفسها ممدوح. ما تريد أن تستعمله سيدتي فاته الركب، لكن ما تتركه لصدفة الزمن لا يشيخ. السيدة غريبة، جد غريبة.

دوناطا:

أبعد قوائمك، أيها الخادم.

الدوق:

السيدة تخالف الحقيقة. يداي قويتان... لكنهما ناعمتان. تعرف سيدتي أنني ألمس تقاسيم وجهها بكثير من اللطافة وأن أصابعي تمنحها ما لا تقدر أية مرآة أن تمنحه لها.

(يقرب الأداة التي يحملها في يده من وجه دوناطا. المرأة تلهث.)

دوناطا:

ما هذا؟ ما ذا تفعل؟

الدوق:

انظري وجهك يا سيدتي.

دوناطا:

تكذب. ليست هناك مرايا في البيت.

الدوق:

أطلب منك أن تنظري في المرآة.

دوناطا:

أمرتك بأن تكسر المرايا. لقد سمعتك وأنت تكسرها.

الدوق:

وأرغمتني على المشي حافي القدمين فوق الشظايا... هذا ما لا تريد سيدتي أن تتذكره... هذا لا يذكر أبدا. أليس كذلك؟

دوناطا:

التضحية كانت ضرورية... لإبعاد الحظ السيئ.

الدوق:

ومن قال لك بأن شظايا الزجاج لا يمكن أن تتجمع وتكون من جديد مرآة أقوى وأعمق من نماذجها المتعددة؟ ومن قال لك بأنها عندما تدمج من جديد، لن تبدع المرايا من جديد حظنا؟

دوناطا:

أنت مهرج. ليست هناك مرايا في هذا البيت. أعرف ذلك. تلك هي مهارتي الوحيدة: النفور من صورتي، الإحساس بالغثيان وأنا بالقرب من مرآة... ألا تفهم... إنني أعرف رائحة المرايا، أعرف صوتها...

الدوق:

مهلا يا سيدتي. لا تحاولي الهروب. أنت خاطئة هذه ليست مرآة عادية. لا يمكنك تصورها. إلمسيها.

(يرغمها على القيام بذلك.)

ضعي أصابعك في أصابعي. إلمسي ما ألمسه. قولي لي الآن بماذا تحسين.

دوناطا:

إنها حجرة. قلت لك بأنك مخطئ... إنها حجرة عادية، خشنة وصلبة.

الدوق:

سيدتي تتكلم عن غير اقتناع. والآن مرري أصابعك فوق الجهة الأمامية... هكذا...

دوناطا:

إنك تؤلمني...

الدوق:

هكذا... والآن؟

(تلمس دوناطا وجه الحجرة الأملس.)

إنه وجه أملس جعله تنفسي رطبا.

الدوق:

سيدتي لا تتعرف على صورتها... ومع ذلك فهي أكثر الصور يقينا... إنها صورة الحجرة المفتوحة... مرآة حجرة زجاجية... مرآة معتمة ...وردية وزرقاء... رمادية وبنفسجية... مرآة لا تكسر، لأن زئبقها ماء ميت يبقى في قلب الحجرة.

دوناطا:

ما الفائدة من هذا العذاب؟ يا دوق... ما الفائدة من مرآة إن لم تستطع أن ترى نفسك فيها؟

الدوق:

سيدتي لا تستطيع أن ترى نفسها ومع ذلك فإن المرآة تعكس بإخلاص صورة سيدتي... عندما لا تستطيعين رؤية نفسك، فإنك تصبحين أقل شأنا من المرآة، أجل، تراك...

دوناطا:

لا، لا... فأنت ترى نيابة عني...

الدوق:

أكيد أن المرآة ترد لك النظرة التي لا تستطيع سيدتي أن تمنحها... المرآة لم تعد عميقة، لم تعد افتراضا، وأنت يا سيدتي، أنت التي أصبحت فراغا، لا وجود له بدون مرآة لم تكن توجد من قبل إن لم تنظري إليها.

دوناطا:

أنت هنا لتعتني بي...

الدوق:

في السابق، كانت المرآة صالحة لأنها وبالضبط تتميز عن الواقع: كانت المرآة تعتمد على نظرة سيدتي وبدونها كانت فضاء مبتورا... جسدا نائما...

دوناطا:

أنا لست في حاجة إلى مرآة...

الدوق:

لكن الصورة انقلبت الآن، المرآة ترى السيدة و السيدة لا تستطيع أن ترى نفسها في المرآة.

دوناطا:

لدي أنت.

الدوق:

السيدة بدون مرآة لا تصلح لشيء، تفتقر لهوية تمنحها إياها أداة حية، وفي آخر المطاف مطابقة لما تمثله.

(وقفة.)

لم تعد المرآة إعلانا لسيدتي. لقد تحولت السيدة إلى تكهن المرآة.

(تتخلص دوناطا من الدوق بعنف، تتلمس الطريق، تأخذ العصا البيضاء، ترفعها وتضرب بها على ظهر الدوق. يترك الدوق الحجرة الزجاجية تسقط من يده وهو يتأوه. تستمر دوناطا في الضرب بالعصا التي تهوي في بعض الأحيان على جسم الدوق بشكل خشن و قاس، وأحيانا أخرى تضرب في الفراغ. في الأخير يمسك الدوق بيديه طرف العصا ويشدها بقوة بقبضة اليدين.)

الدوق:

لقد مرة ستة أيام على سفر زوج السيدة، منذ ستة أيام وأنا أضحي بحقي في الخروج من السادسة إلى الثامنة. لم أر الآنسة مارينا منذ ستة أيام. إن لصبري حدودا. وأخبر السيدة أن يوم غد سيكون بالنسبة لي يوم عطلة. من حقنا أن نستريح في اليوم السابع. سيما نحن الخدم.

(تلقي دوناطا بالعصا، وتسقط على الأرض بهدوء.)

دوناطا:

لا تكلمني هكذا... لا تعاملني بهذا الشكل...

(يتوجه الدوق نحو الصوان. يخرج قنينة خمر. ويعود إلى دوناطا.)

عاملني كما تعامل الآنسة مارينا... أضر بي...

(يسلم الدوق القنينة لدوناطا. دوناطا ترتعش، تحملها إلى شفتيها، تشرب بشراهة وحيوية، تترك القنينة وهي تلهث. تجف شفتيها بيدها.)

أسدل الستار. قد يرونا.

تسمع موسيقى. يسير الدوق حتى مقدمة الخشبة. يمسك الستار ويسدله. وفي نفس الوقت ينزع لحيته الاصطناعية ويختفي خلف الستار.

الفصل الثاني

تسمع موسيقى.

تظهر دوناطا وعلى كتفها لحاف وهي تزيح الستار. ظلام تام، باستثناء الضوء الوحيد المكثف الذي يضيء وجه دوناطا ويرغم عينيها على أن تطرفا وعلى حجبهما بيدها الأخرى. تدمدم.

دوناطا:

نحن في أواخر شهر يناير. لقد خان الطقس الطبيعة. وتحول فصل الشتاء إلى فصل ربيع. لكن لمدة أسبوع أو خمسة عشر يوما فقط. وبعدها سيعود البرد لاستكمال دورته وسيكون من الضروري إحراق البذور المبسترة وقص الأغصان ورش الكل بمبيد الحشرات. **(وقفة)** لكن الزهرة لا يتوقف. يتنقل عبر الكون في يوم واحد... كل الأيام. إنه نجم السحر ونجم الغسق... إنه التوأم الثمين لنفسه.

يجتاح الضوء الخشبة. تظهر جرائد منشورة فوق الأرض. ويظهر الدوق مغطى بلحاف وهو ينام في الوسط. بالقرب منه توجد قنينات فارغة، وصحون بها بقايا من الطعام. يستيقظ فزعا وهو يئن.

الدوق:

دوناطا... دوناطا؟

(يمد يده)

هل أنت هنا؟

دوناطا:

نعم.

الدوق:

ظننت... ظننت أنك كنت قد انتفعت من حلمي.

دوناطا:

نعم.

(وقفة. يقف الدوق.)

دوناطا:

متى قال إنه سيعود؟

الدوق:

بعد أسبوع. اليوم.

دوناطا:

لقد سافر منذ ستة أيام خلت.

الدوق:

بل سبعة. لا تستمري في مراوغة نفسك.

دوناطا:

أريد ربح يوم. يوم واحد. هل أبالغ في طلبي؟

الدوق:

ليس هناك وقت. إنه يوم الأحد. يجب أن نعود لعادتنا. يجب أن أحضر لك الفطور والسرير.

دوناطا:

أجل، افعل ذلك، وفيما بعد يمكننا أن ننام معا الصباح كله.

(يجمع الدوق الجرائد المنشورة على الأرض، يجمعها على شكل رزمة ويشعل النار فيها.)

الدوق:

يجب أن نرتب البيت. يجب ألا يلاحظ تغيرا.

دوناطا:

ليس له الحق في أن يلاحظ. **(تجلس القرفصاء وتقرب يديها من النار.)** سافر وتركنا مهجورين في هذه المزبلة. ويضن أنه سيجد الكل كما تركه... وأنه هو الوحيد الذي له

الحق في التسلية... وأنه حكم علينا بهذه العزلة الأبدية... يريد أن يجد بيته كما كان عندما يعود. أرفض هذا.

(وقفة.)

لن اقبل هذا أبدا. يجب أن نعيش كما كنا، في شقة عصرية ومريحة.

الدوق:

ولماذا تبعته إلى هذا المنفى؟

دوناطا:

وعدني أن نبدأ حياتنا هنا من جديد. مرة أخرى كان هذا هو وعده. وعده الوحيد. إن كل شيء يمكن أن يبدأ من جديد.

الدوق:

وهل وثقت به... مرة ثانية؟

لم تجب دوناطا. تمد يدها، تتلمس ما حولها وتعثر على قنينة، تحملها وثم ترفعها إلى شفتيها، وتبصق بامتعاض. يصمتان لمدة عشر ثوان.

دوناطا:

ماذا ستفعل يوم العطلة؟

وقفة. تسمع مرة أخرى خشخشة الظرف الذي يلقى به من تحت النافذة. يقف الدوق ويسير حتى مقدمة الخشبة.

دوناطا:

هل فكرت في تسلية للغد، ليوم الأحد؟

(يحمل الدوق الظرف وهو هائج.)

الدوق:

إنه يوم الأحد.

في الوقت الذي تتكلم فيه دوناطا يفتح الدوق الظرف ويسير حتى السرير، يقف بالقرب منه ويفرغ محتوى الظرف الخيالي. يأخذ العكازين الأبيضين ويشرع في قرع الأرض بهما، وفي قرعهما الواحد بالآخر محدثا بذلك إيقاعا رتيبا.

دوناطا:

غدا. كان زوجي يضاجعني كل يوم أحد... خلال أيام الأسبوع الأخرى كان ينشغل بعمله... بأعماله بسمعته، بالعلاقات العمومية، بإسداء الخير للآخرين، بأوامره وعقوباته... أما أيام الأحد فعلى العكس من ذلك... كان يقول لي أن نهدي تشبهان ليمونتين، بعدها يضع أسطوانة الطانغو فوق الحاكي... كان يقول لي أن المضاجعة المصاحبة بالموسيقى العميقة شيء مهم... وكان يذكرني هذا بأرجوحة الخيل... عندما كان الأولاد يرونني وأنا فوق حصان الخشب الصغير أدور... وهم يتأملون فخدي... كان زوجي منضبطا وطموحا... فقط أيام الأحد... الكل بالتقسيط... وبعدها كنا نخرج للتفرج على اصونة لاسان ماريتين... الغسالة الأوتوماتيكية، الثلاجة، الخلاطة، الآلات الكهربائية الرفيعة، قارب من المطاط للعطلة، أولا الـ... فياط...

ثم الـ... مرسيديس... تجسيمي صوتي، الموسيقى العميقة تعجبه... كان لدينا كل ما نحتاجه، أفهمت؟ كل شيء... إلى أن تخلي عن سماع الموسيقى ولذلك عدنا إلى هنا، ويقول إن الموسيقى تأتي من هذه الحديقة... لذلك عدنا إلى هنا... وأني لن أستطيع أن أسمع أبدا ما يسمعه هو... وأن أرى ما يراه هو...

(تستقيم وعلى ملامحها علامات الكدر وهي تشد بقوة على يديها.)

ذهب إلى الكازينو... للعب الروليت... كان بإمكانه أن يكاتبنا ويخبرنا هل ربح... أم خسر... أن يخبرنا بأي شيء جديد... أن يبعث لنا بأية رسالة.

الدوق:

ربما أن كل شيء يعتبر غموضا كبيرا.

(تستمر دوناطا في الكلام دون السماع إلى الدوق.)

دوناطا:

في البداية أردت أن أعتقد أن مجموع تلك الرسائل التي تصل كل يوم كانت موجهة إلي. إنني حالمة بئيسة. أوهمت نفسي أنه سيكتب لي مرة ثانية... رسائل مثل تلك التي كتبها وهو في جبهة القتال...

الدوق:

ربما أنه ينتظرنا أن نكتب نحن... أن نحكي له عما قد يحدث هنا في غيبته...

دوناطا لا تجب. بعد أن انتهت من إطفاء النار تطأ على رماد الجرائد المحروقة. تسير حتى مقدمة الخشبة وهي ترتعد من البرد. يقترب منها الدوق ويقبلها من الخلف.

الدوق:

حبيبتي. اتركني أخدمك كالعادة.

دوناطا:

إنه يوم عطلتك... لقد قلت ذلك البارحة... وهددتني بأن تتركني اليوم كله بمفردي... ثم بالإضافة إلى ذلك هناك من ينتظرك.

(يلامس الدوق رأس دوناطا.)

الدوق:

لا أحد ينتظرني (**وقفة**.) عندما وجدني زوجك... في الشارع لم أتذكره. لم أكن قد رأيته لمدة طويلة. لكن أنت عرفتك على الرغم من أنني لم أرك سابقا. في تلك الليلة ذهبت لزيارة الآنسة مارينا التي كانت تعاملني معاملة حسنة سيما عندما كنت أحتاج إلى شخص يقف إلى جانبي. قلت لها إنني سأقبل أن اشتغل خادما ورفيقا للسيدة، ليس إرضاء للزوج بل حبا في السيدة... (**وقفة**.) بمجرد ما مسست وسمعت سيدتي ... أنت ... أحسست بهجر أعمق من هجري. لم أستطع أن أفسره. بحث زوجك عني فوجدني، أخرجني من الفقر. ومع ذلك، عندما وصلت إلى... هذا البيت... أحسست... بالحنان. ليس بالامتنان ولا بالحقد ولا باللامبالاة. بل فقط بشفقة لا متناهية. بشفقة إزاء من كان يشفق علي...

دوناطا:

لا، لا، لم يكن ذلك شفقة، بل كان...

الدوق:

من فضلك. هذا ما قلته للآنسة مارينا: "أشكرك على مساعدتك لي. لا أريد أن أكون بئيسا. لكن السيدة ستحتاجني في كل الأوقات. لن يكون لدي وقت فارغ".

دوناطا:

وماذا كنت تفعل عندما كنت تودعني وأسمعك تغلق الباب خلفك؟

الدوق:

كان ذلك مجرد تمثيل، كنت أسير حتى الباب... فأفتحه ثم أغلقه... فأبقى ساكنا لمدة ساعتين... وأنا أراقبك... من تلك الزاوية.

دوناطا:

يا دوق بالأمس حلمت أحلامه. هل فهمت؟ ليس حلمك الأبدي. حلم التماثيل، لا: أحلامك.

الدوق:

قلت للآنسة مارينا: "هناك عدم اكتراث كبير في هذا العالم. وكأننا نريد أن نرحل كلنا عاجلا من هنا. وكأن صدرنا لا يتسع للحقد والانتقام لكوننا خلقنا. وكأن مني آبائنا كان عبارة عن سم وأن رحم أمهاتنا كان بالوعة. وكأننا نريد أن نحطم كل شيء قبل أن نحطم أنفسنا (وقفة .(لو اختار كل واحد منا شخصا واعتنى به بشكل تام وواقعي... فسيكون هذا هو الأمان. ستكون هذه هي مهمتنا...

العناية كليا بشخص آخر... لن يكون لنا الوقت للقيام بشيء آخر... ستكف عن العمل، عن التفكير، عن الشك، عن القتل، عن الصلاة... ولن نخاف من آبائنا ولا من أنفسنا ولا من الآخرين". هذا ما قلته لصديقتي...

دوناطا:

أنت تعتني بي حسب قدراتك.

الدوق:

لا تعتقدي أنني بئيس. سوف لن أراك لكن ليس لأنني التقيت بإنسان آخر سيكون مسؤولا عني، بل لأنني وجدت إنسانا آخر أريد أن أكون مسؤولا عنه.

دوناطا:

هي لا تعرف هذا. لن تقبل الإهانة.

الدوق:

هي لم تطلب مني هذا. إنه قراري لست أدري هل أقوم بهذا رغما عنها.

دوناطا:

ليس من عاداتها أن تتأسف لنفسها أو تطلب من أحد أن يتأسف لها. لا شيء يقززها بعد.

الدوق:

أعتقد أن الآنسة مارينا بكت. لست ادري هل فهمت جيدا.

دوناطا:

الإنسان المهجور لا يمكن أن يفهم، على الرغم من أن سبب هجرانه هو إنسان آخر سوف يعيش في العزلة أكثر.

الدوق:

إن حياتها حزينة. ليست خياطة كما تقولين. إنها حاجبة في إحدى قاعات السينما. شيء فظيع. إنها تسأم كثيرا. تداس قدماها. وتستلم حلوانا ضئيلة. وقاعات العرض مكيفة بشكل سيئ. لا شك أنها ترى نفس الشريط مئات المرات. إنها سجينة الظلام.

دوناطا:

وأنت جئت لكي تعتني بمن كان يجهلك.

الدوق:

أجل يمكن أن أعتني بك أحسن كلما تجاهلتني أكثر.

دوناطا:

وأنت...

الدوق:

أنا أؤمن بالذين لا يؤمنون بشيء. إن لا شيء يستدعي حضور ما نرغب فيه. لقاءاتي الوحيدة كانت مع من لن يبحث عني.

دوناطا:

قلت الشفقة، وليس الضرورة.

الدوق:

نعم، قلت الشفقة، الشفقة.

دوناطا:

في حين أنني لم أكن أثق بك.

الدوق:

أجل.

دوناطا:

والآن؟

الدوق:

رغبتنا مشتركة.

دوناطا:

لدي ذكراي، ورقصي، ولقائي، أشياء خاصة بي...

الدوق:

لكننا الآن لن نفترق. وستكون الذاكرة تنبأ.

دوناطا:

نزلت عبر مصعد الباخرة الصغير إلى فناء قصر يوجد قرب المرفأ.

)يمسك الدوق بيد دوناطا ويقودها إلى الجهة العليا، إلى الدائرة السوداء.(

كان يعم هواء خليج المكسيك نوع من البهاء الواهن. كل الناس التفتوا لينظروا إلي.

الدوق:

كنت الملكة.

(تضغط دوناطا بالمقص على صدرها.)

دوناطا:

كنت أمشي فوق الأرض الغريبة. كنت مختلفة.

الدوق:

إن الشيء المختلف هو الذي ينتصر دائما. حتى ولو كان لوقت قصير.

دوناطا:

كانوا في انتظارنا. وكانت الذاكرة تعلن وصولنا والمرأة الأجنبية تقود الرجل الملتحي.

الدوق:

لا يكفي أن نتذكر كيف كانت البداية. يجب أن نعرف كيف كانت النهاية.

(تلتفت دوناطا إلى الجرائد المنشورة.)

دوناطا:

ربما نجد هذا في الجرائد.

الدوق:

اجلسي. قصصي كل ما له علاقة بهذه الحالة.

)تجلس دوناطا وسط الدائرة السوداء وتشرع في قص الجرائد.(

دوناطا: الافتتاحية: أسباب سقوط الإمبراطورية...

الدوق:

لا، لا...

دوناطا:

ركن النباتات. حول حزن الأشجار الليلية.

الدوق:

هذا لا، ابحثي جيدا، استمري...

(يستمر الدوق في النفي في حين دوناطا تتكلم.)

دوناطا:

إعلان عن شغل، سائح أشقر يبحث عن فتاة محلية تعرف اللغة والتقاليد لمرافقته. النشاط المالي: المسكوكة الذهبية الإسبانية تساوي ثلاث نرجيلات، الشيلينغ النمساوي استقر على اثني عشر غراما من البارود، قيمة الدولار: رطل من اللحم... الركن الأحمر: مائتي عسكري تم تقديمهم كقربان فوق قمة الهرم... أخبار النعي: كيريطارو، 19 يونيو، وكالة الأنباء الفرنسية. البارحة، عند الفجر، فصيلة الإعدام... أخبار اجتماعية وشخصية: قرر الأطباء بعد فحوص مستفيضة أن السيدة مجنونة ويجب أن تسجن في قصر وإلى الأبد... ركن الأسئلة والأجوبة: لماذا لا تعود؟

الدوق:

هذا ... هناك... توقفي... أعيدي...

دوناطا:

لماذا لا تعود؟

(يتقدم الدوق إلى الجهة السفلى.)

الدوق:

اشكري عزلتي. إنني أقتسمها معك.

دوناطا:

ألم تتوصل بالرسائل؟ ألا تعرف أنهم كلهم في انتظارك، وأنهم يريدون رؤيتك؟

(ينزع الدوق اللحاف عنه ويبقى عاري الصدر وهو يرتدي سروالا أبيض منطق.)

الدوق:

من فضلك. ثقي بي؛ لا يمكن أن أظهر، قد لا يرونني.

(تترك دوناطا الجريدة تسقط من يدها، ينزل الدوق من منحدر الصالة.)

يسمع صوت موازي للحركة: حفيف أوراق العوسيج، خشخشة الأفاعي، عواء الذئاب، خرارات هندية، نغمة البيانو، منبض كهرباء، صوت آلة التنبيه، صفارة الغياهب، طائرة نفاثة. تسمع هذه الأصوات من مختلف أماكن الخشبة.

دوناطا:

ألم تفهم الرسائل؟ هل الأصوات سمعت خافتة؟ هل انطفأت الأضواء؟ الأظرفة...؟

الدوق:

هل فتحت واحدا منها؟

دوناطا:

أنا، لا، لكنك قلت بالأمس أنك كنت تتوصل بها كل يوم على الساعة الخامسة مساء، وأنك كنت تحاول مخادعتي وكنت تفتحها خفية أو فتحتها وأنت في حماية أصوات فجائية تعتبر هي بدورها رسائل...

(يتكلم الدوق وهو يسير عبر ممرات المسرح، وينظر إلى الجمهور.)

الدوق:

ماذا تقول الرسائل؟

دوناطا:

خبر مستعجل. عد. لقد سامحناك، إننا محتاجون لك. لا يمكن أن نظن أنك لقيت حتفك.

الدوق:

إن عاد، سوف لن تحتاجونني.

دوناطا:

نتذكر فقط الخير الذي فعلته. أي نبات يكبر، وأي فسيفساء تصنع، وأي لحاف ينسج، وأي يشم ينحت، كل هذا يعتبر ذكرى ممنونة. إنها رسائل الأرض.

الدوق:

إن عاد، سوف يعاودون إدانتي.

دوناطا:

اقسموا أن يطيعوك إذا عدت.

الدوق:

لا، لا، فقط إذا بقيت بعيدا. في الأرض لا يعرفون ذلك، لأنهم يسمعون فقط كلماتي إذا لم يعرفوا إنها لي.

دوناطا:

إدماج مؤدى عنه: نخشى أن ننساك إلى الأبد وأن ننسى ما علمتنا...

الدوق:

إذا عاد سوف يقولون أنني لست أنا، سيعتبرونني مغتصبا، لئيما...

دوناطا:

قلت أنك وهبتهم الحياة وأنهم أجابوك بالموت.

الدوق:

كنت إنسانا وكانوا تماثيل. كنت أحبهم خلال الحياة. أما هم فكانوا لا يحبونني سوى من

خلال الموت. لم أقدر على صنع تماثيل مماثلة لي، لم أرد صنعها شبيهة بي، كان لا بد من فرق بيني وبينهم.

دوناطا:

إعلان عن وفاة: كان لا بد أن يكونوا أقل منك.

الدوق:

لكنني أقسم لك أنني أريد أن يغفر لي هذا الكبرياء.

(وقفة. يتكلم الدوق بعدوانية كبيرة مع الجمهور الذي يحيط به. يهدده يوشك على الارتماء عليه، وأن يبصق عليه....)

أقسم لك أنني أدمن، أزني، أسرق، أقتل، وأنني أتذلل لكي أفقد الفرق.

(وقفة. يتأمل طويلا جزءا من الجمهور.)

جيل الثعابين. ضرائح مبيضة. خدعة. حسد. كبرياء. غباوة. وعمي. أريد أن أكون ككل واحد منكم.

يبقى ينظر إلى الجمهور لمدة دقيقتين متتاليتين.

تفعل دوناطا نفس الشيء وهي فوق الخشبة. بعد انتهاء الدقيقتين يصرخ:

الدوق:

القوا بالحجرة الأولى!

(يقوم بتقليد من يرمي بالحجارة. يسقط في الممر.)

دوناطا:

خبر آخر ساعة: سيعود شخص آخر عوضك.

(يقف الدوق بصعوبة.)

الدوق:

أجل، أجل، شخص آخر يشبهني ويعاني باسمي من التجاهل، والإهانات، والموت التي سيحكمون علي بها إذا عدت... الواحد والآخر وآخر الآخر سيعودون ليموتوا باسمي إلى أن تستنفذ الحاجة للدم وسيصبحون على قدم المساواة معي كما أحاول أن أكون أنا على

عبر الغابات ذات اللون الملتهب، فوق الأرض التي هي مسكن الندى، عيناك يمكن أن تذيب صرخة الببغاوات الحمراء، تحليق الطيور الطنانة الخضراء، سراب الفراشات المذهبة. أخو التذرج، رفيق الثعبان، صديق النمر صنوكيتثال Quetzal، سجين الضباب السرطاني للغابة التي تخفي في وسطها ذاته خراب قصر من الزمرد وصدفات البحر وقصر الزيزان الميتة والنحل الرنان، مسكن الغابة، غير متميز عنها، مسكن الرسوم الشبحية، مكان الأصل الذي يعتبر كذلك مكانا للمنفى. عيناك ستكونان صوتي: تلك الأرض الشاسعة تنادينا، هناك نعتبر ضروريين صوت المسافر، هناك يجب أن ينجز الكل، لقد تحملت النفي، عد، لن تكافأ، ستقدم قربانا لا يهم: عودتك وموتك سيحرراننا من الانتظار سيمكننا من تحقيق وعدك، من نسيانه، من السير إلى الأمام دون عبء أسطورتك اللعينة، دون اغتصاب الامتنان الذي لا يطاق: فوق تلك الأرض فقط كان الخالق في نفس الوقت مخلوقا، هناك فقط كان الخلق والسقوط متزامنين، وهناك فقط لعب شخص واحد هذين الدورين.

(وقفة.)

عد. لماذا لا تعود؟ إن المعبد معبدك. أنظر إليه، إنه أفخم الأضرحة. لن ننساك.

تتوقف دوناطا منهزمة. تجوب الخشبة بنظراتها العمياء. تتصبب عرقا، مشعثة الشعر وكأنها حيوان يداها مليئتان بالرماد. تحمل شيئا. إنها الحجرة اليشم، دوناطا، بلهجة قذرة، متعبة، مغتالة.

لقد جئت لأحييك. لقد جئت لكي ترى جسدك في المرآة.

يجلس الدوق القرفصاء في الوسط جلسة جانبية وهو منحني الرأس. تفعل دوناطا نفس الشيء وتجلس أمامه وتضع الحجرة–المرآة أمام عينيه.

الدوق:

لماذا تريدين معاقبتي بهذا الشكل؟ من أنت؟ لماذا يهمك جسدي؟

دوناطا:

أنا عبدتك. أنظر جسدك. ستظهر في المرآة. تعرف على نفسك. اعرف جسدك لكي

تتمكن من تمني جسدا مماثلا ومختلفا. الأكثر مماثلا واختلافا. جسد أختك. امرأتك الأولى. عاهرة المعبد.

دوناطا والدوق يمدان يديهما حتى تتماس أصابعهما. تأخذ دوناطا رأس الدوق وتلاطفه وكأنها تصوغه. تمرر يديها على كل جسد الرجل، وهي تكتشفه ولكنها تخلقه. يستمر البالي وهو عبارة عن صراع ولقاء غرامي مصحوب بتوزيع موسيقى للأصوات، إلى أن ارتمت دوناطا والدوق على فضلات الصحون، يتنازعانها، تنتصر دوناطا، تختطف الأكل، تلقي له بقطعة ويأكلان وهما على يديهما ورجليهما يهمهمان، إلى أن يقف الدوق متململا، يسير إلى الخزانة الكبيرة، يأخذ غطاء من الريش يحمله إلى حيث توجد دوناطا ويضعه على كتفيها. تتوقف دوناطا عن الأكل وهي تلهث تنظر حولها وهي مندهشة. تتوقف الأصوات فجأة.

دوناطا:

رطوبة هذا المنزل. زوايا مملوءة بالطحلب. شقوق في الجدران الطينية. أرض في الرافدة. محتوى الأثاث غث. الرائحة المعدنية للفطريات. حيوانان جائعان.

الدوق: بصوت منخفض ورأسه منحن.

قلت لك الحقيقة يا دوناطا.

تستقيم دوناطا بمهابة وهي ملفوفة في غطاء الريش، تحمل الحجرة بيد والعصا باليد الأخرى.

دوناطا:

سيدتي ! لا تنسى. المشكل الوحيد هو الحفاظ على الكرامة وعدم الرجوع إلى الوحل، هو أن لا يفترس بعضنا البعض، إن ذريعتنا الوحيدة هي ما نأكله، ما نلبسه، وما نقوله، سيدتي ! تذكري هذا جيدا. يمكن أن أكون فقط عاهرتك أو سيدتك. لا أريد أن أكون زوجتك لأنني لست في حاجة لشفقتك. تركتك تحتقرني. والآن عليك أن تعود إلى طاعتي. لم تقم دائما سوى بتحقيق رغباتي.

الدوق:

لا، لا، إنها رغباتنا يا دوناطا في هذه اللحظة...

(تضرب دوناطا الدوق بالعصا ضربة خشنة.)

سيدتي... من فضلك، رغباتك ورغباتي، سيدتي... هذه المرة لم يصدر الأوامر أحد، رغبتك ورغبتي تصادفتا لفترة، كنت في حاجة إليك وكنت في حاجة إلي، وهذه المرة كانت الحاجة ...مشتركة. (**وقفة.**) يا سيدتي.

دوناطا:

والمرة الأخرى؟

الدوق:

لا أدري عماذا تتحدث سيدتي اقسم لك.

دوناطا:

سأقوله لك قبل أن أنساه. حلمك، حلم التماثيل.

الدوق:

لقد نسيته، بالأمس لم أحلم هذا.

دوناطا:

لا. بالأمس حلمت أحلامي وأنا حلمت حلمك. كل واحد منا يعدي الآخر بأحلامه، أنت بأحلامي العجيبة التي لا تتكرر أبدا، وأنا بحلمك الوحيد والمغلق، حلمك الملعون، حلم الغابة والتماثيل. لكنك نسيت شيئا: أنني كنت قد حلمت بكن بطريقتي وبالنهاية الحقيقية. سأجبرك على أن تتذكر الكل. سأجبرك على العودة حتى تؤدي ثمن جرائمك.

الدوق:

صدقيني، لقد أديت الثمن بالنسيان.

دوناطا:

ياه. النسيان بالنسبة لي ارتياح.

الدوق:

من فضلك كفي عن تخيل نفسك غير ما كنت...

دوناطا:

نزلت من سفينة واستوليت على أرض غريبة.

الدوق:

وعندما تفقدين المقارنة ستكفين عن رؤية نفسك كما أنت.

دوناطا:

امرأة عاشقة لشبابها.

الدوق:

آنذاك نعم، يا سيدتي، آنذاك ستتفتحين على ما يمكن أن يكون... آنذاك ستتحولين إلى الشخص الذي تجهلينه أنت وأجهله أنا... لكن أنا، يا سيدتي، عندما غادرت الأرض...

دوناطا:

عندما طردت من الأرض...

الدوق:

كما تريدين... فقدت كل ذكريات حياتي السابقة، ذاكرتي نسيان طويل.

دوناطا:

يمكن أن أنعش ذاكرتك، أيها الكذاب. بالأمس سمعت أحلامك.

الدوق:

أحلامي كانت هي أحلام سيدتي. لكن هذه المرة أنا الذي حلمتها.

دوناطا:

وأنت سمعت حلمي. لا تكذب: سمعته.

الدوق:

كان حلم سيدتي هو حلمي. لكن هذه المرة هي التي حلمته.

دوناطا:

هي التي حلمته؟ هل أنا التي حلمته؟

الدوق:

هي التي حلمته. ليست هذه هي المرة الأولى التي لا أحلم فيها حلمي لكي أحلم حلم من تنام معي. إنها المرة الأولى التي تسمعني فيها امرأة أتكلم وأنا مخلد إلى النوم...

دوناطا:

امرأة؟

الدوق:

نعم، الأولى، صديقتي، الآنسة مارينا. سمعتني وبعدها حكت لي ما كنت قد قلته، ظننت أن ذلك كان الحقيقة. سمعتها فأثقل كرب كبير صدري. عرفت أنني كنت قد فقدت شيئا جد مهم... شيئا لا مثيل له. مسست جسدي وقلت للآنسة مارينا إنني كنت أشعر بالخجل، إن جسدي لم يكن سوى قليل من التراب، من الألم، من الحزن من العبودية قلت لها إنني كنت أشعر بنفسي وكأني فقدت الحياة.

دوناطا:

لحظة، أعد ما حكته لك تلك الآنسة عما حلمته.

الدوق:

لقد عشته معك يا سيدتي.

وقفة طويلة. صمت. لا يتحركان. وفي الأخير يقف الدوق بصعوبة متألما وهو يقبل نفسه ويمس ذراعيه وصدره العاريين.

دوناطا:

لديك الوقت الكافي. أمامك يوم آخر، يوم الغفران.

الدوق:

لا، لا. ليس هناك وقت بعد. **(يشرع في جمع الجرائد والكؤوس الصغيرة.)**

دوناطا:

يمكنك أن تغتنم هذه الفرصة كي تفر. يمكنك أن تعود.

الدوق:

لا، لا...

دوناطا:

ألا زلت تظن أنه يجب عليك أن تعنى بي؟

(وقفة. لا يجيب الدوق.)

بعدما سكرت معي وضاجعتني؟

(رأس الدوق يؤكد. يتردد، ينفي، ثم يعود إلى التردد.)

من أي طينة من الحراس أنت؟ أتظن أن زوجي لن ينتبه إلى ذلك؟ ألا زلت تعتقد أنه يفضل الاستمرار في التوهم أن لا شيء قد تغير؟ ألا تعرف أنه لا يستطيع أن يعيش إذا لم يعاقب؟ أنت غبي. في الوقت الذي تظن فيه أنك كنت حنونا معي، سيعتبر هو شفقتك جريمة، كما أعتبرها أنا إهانة. سيشم رائحة خمرك في شفتي. سيشم رائحة رمادك في يدي. سيشم رائحة منيك بين فخذي.

(وقفة.)

سوف لن أدافع عنك. سأكون أول من يفضحك وينكرك. سأقول لزوجي إنك أسكرتني رغما عني لكي تتمكن من اغتصابي. لكني لن أقول له إن إهانتك الحقيقية تجلت في كونك كنت شاهدا رؤوفا على نضجي التافه... هل طلع النهار أم هبط الليل؟

الدوق:

إنه وقت العشاء.

دوناطا:

هل ستتخلى عن خدمتي؟ ألا تريد أن تقول لي هل هو الظلام ما يحيط بي أم الضوء؟

(يضع الدوق رأس الذئب المقطوع فوق طاولة الشاي الصغيرة.)

هل تعتقد أنك قد تخلصت من واجباتك بكأس واحدة وبنيكة واحدة؟

(يقرب الدوق الطاولة ذات العجلات من دوناطا.)

الدوق:

تفضلي المائدة جاهزة.

(تجلس دوناطا أمام الطاولة الصغيرة.)

دوناطا:

أين عملي؟

(يدور الدوق حول نفسه وهو مضطرب.)

الدوق:

في مكانه المعتاد. قرب كرسيك الهزاز.

دوناطا:

كف عن مخاطبتي بضمير المخاطب.

الدوق:

أجل يا سيدتي.

دوناطا:

ابحث عن عملي وأحضره لي.

(تأخذ دوناطا العمل الذي يوجد بالفعل قريبا من الكرسي الهزاز.)

الدوق:

أحس بغثيان.

دوناطا:

لا تنتظر مني أن أعتني بك؟

(ترفع دوناطا المنسج الصغير أمام عينيها. يبحث الدوق عنه وهو يسير على يديه ورجليه.)

دوناطا:

من قال لك أن تسكر وتجامع. الآن أنت لا تصلح لشيء. امتثل.

يجثو الدوق قرب دوناطا وهي جالسة. تمرر دوناطا العمل أمام عيني الدوق. هذا الأخير لا يرى شيئا.

دوناطا تغضب، تنتشي انتصارا، ثم تغتنم عندما تنتبه لعمى الدوق.

الدوق:

لم أجده يا سيدتي... أعتذر... لم أعثر عليه.

(يقف الدوق. تتبعه دوناطا وهي تشير إلى المنسج.)

دوناطا:

لا تريد أن أنهي هذا العمل، أليس كذلك؟ ما تريده هو أن يعود زوجي ويسأل عن عملي فأقول له إنني لم أنهه بعد. كيف؟ سبعة أيام من العطلة ولم أستطع نسج ما كلفني به؟

(وقفة.)

أنتما ضدي، آه؟

الدوق، مرتعدا:

أحس بالوهن، يا سيدتي.

دوناطا:

كفى أعذارا.

الدوق:

أؤكد لك أنني لا أرى شيئا.

(دوناطا تعوج قسمات وجهها. تمد العصا البيضاء إلى الدوق.)

دوناطا:

اقتد بعصاي.

الدوق:

يداي كافيتان لذلك، المساحة جد ضيقة.

دوناطا:

ليست ملك لك.

الدوق:

ماذا تقصدين؟

دوناطا:

إنك بصدد البحث عن تبرير للبقاء معي هنا وجدت مكانا آمنا تستغل فيه امرأة يتقدم بها العمر وتشفق عليها. **(وقفة.)** أحضرك زوجي كي تعتني بي؟ جئت كي تتكفل بي؟ **(تقف دوناطا بعنف وهي تطرح طاولة الشاي الصغيرة أرضا بواسطة رأس الذئب. تصرخ:)**

يالك من أعور قرنان!

وقفة طويلة. دوناطا والدوق يطوفان بلا تبصر، كلاهما يحمل عصاه البيضاء، دوناطا تبحث عن الرجل وهذا الأخير يجتنبها، وكل منهما يهتدي بصوت الآخر.

دوناطا:

قلت: هنا بالذات، وفي هذا المنزل، يوجد الشخص الذي يشبهك أكثر، ذلك الشخص الذي سيعود باسمك...

الدوق:

هنا، هنا بالضبط يوجد شبيهي.

دوناطا:

قلت بأنه قد يبقى هنا حتى ولو انصرفت أنت...

الدوق:

هل ستبقي هنا إن لم أرافقك؟

دوناطا:

لا. سأخرج قبلك من المنزل، لأحكي في الشارع أنني رأيتك. سأقول للناس إني أعرف أين تختبئ، سأعلن وجودك قبلك.

الدوق:

أتعرفين إلى أين أريد الذهاب الآن؟

دوناطا:

لا، لكن أنت كذلك لا تعرف. لم تحلمه بعد.

(تقترب دوناطا من الدوق وهي تتشممه.)

الدوق:

تعتقدين أنك قادرة على مرافقتي؟

دوناطا: بتهكم.

خا. هذا ما سنراه. أنا التي أعطي الأوامر داخل منزلي. لكن من سيضمن لي أن الأدوار لن تنقلب بمجرد خروجنا من هنا.

الدوق:

هل فكرت سيدتي في إمكانية مرافقتي دون أن تخرج من المنزل؟

تمد دوناطا يدها وتمسك بذراع الدوق. في الخطاب الذي يلي، يقوم الاثنان بالحركة التي تصورها دوناطا؛ تسمع أصوات حركة السير خافتة وبعيدة.

دوناطا:

لا لدي مشروع آخر. أتدري ما سأصنع بك؟

سأقودك من يدك إلى الشارع وسأكون دليلك. سأساعدك على العبور. سأقودك وسط الحشود. سأعمل على ألا تصدم بالأعمدة... بالواجهات الزجاجية... بنواتىء النوافذ من هنا أيها الدوق، يا دوق... انتبه... لا، هنا ينتهي الرصيف... أعطني عصاك، أيها الدوق لن تحتاجها، أنا بجانبك لكي أقودك... أنا بقربك كي أحكي لك حياتك... أنا جمهورك الوحيد والطيع... أنا الشاهدة على احتيالك الأبدي... أنا أثق بك... أنا أتقبل كل أكاذيبك بشكل مضاعف... سأومن باقتصاد الغفران... سأقبل طبيعتك ذات الجوهر المشترك... حماقة أبيك الخرفة... انحطاط أبناءك... أنا هنا، أنا هنا...

(تبتعد دوناطا وهي تضحك من الدوق الذي يدور حول نفسه مفزوعا. تتزايد أصوات حركة سير السيارات.)

ستسمع صوتي خافتا وبعيدا أكثر فأكثر... ستمد ذراعيك... لكنني لن أكون بالقرب منك... سأراقبك وأنا فوق الرصيف أنثني من شدة الضحك. وأنا أراك على حالك: متشردا بهذيان العظمة... سأكون قد هجرتك وسط الشارع، وسط حركة السير على الساعة السادسة مساء... ستدور كالدمية المتحركة مسكين أيها الدوق... ستطلب وأنت تصرخ عاليا كي أعود إليك... ستعترف أنك بدوني لست شيئا... ستدور في مكانك دون أن تتجرأ على أن تخطو خطوة واحدة... سيضاعف فزعك من أصوات محركات وعوادم السيارات... ستتضرع إلي وإلى مساعدتي... بدوني لا يمكن أن تكون لك قيمة في العالم... أنت موجود لأنني أسميك، لأنني أقودك، أهجرك أعاود التعرف عليك من جديد، أنا محتاجة إليك وأستغني عنك، أقدسك وأستهزئ منك، أنال غفرانك وأعاود عصياني،

أستنجد بسلطتك وأتغوط على ظلك، أقتلك وأحبيك... أنت مخلوق نزواتي... تظن أنك تحميني... أيها الغبي... لقد جئت إلى العالم لكي أحميك... أنا التي سأقول لك هل يمكن أن تعبر الطريق أم لا، هل الضوء أحمر أم أخضر، هل الشارع خال من السيارات السريعة...

(وقفة. يسمع صخب حركة السيارات. أزيز العجلات الخ..)

الآن سأتركك هنا وحيدا... لن أعتني بك بعد... سأنتظر مطمئنة في جزيرتي الصغيرة... ستدوسك الحافلة... دون أن أراك... وتسقط.... ستدهس العجلات جسدك الممزق... وتصبح دمية هامدة... لأنني تركتك وشأنك...

(وقفة. تسمع صرخة الدوق. أصوات الناس، سيارة الإسعاف وأصوات أخرى تذكرها دوناطا..)

انتظر يقترب الناس لرؤية جثتك. يبعدهم شرطي المرور وهو يصرخ. يطلبون سيارة إسعاف. إحدى السيدات تفقد وعيها عندما ترى دمك. كل شيء يفقد جدواه. لقد مت. ويشكل الناس دائرة حولك، ويتساءلون: من هو؟ من يكون؟ هل رأيناه سابقا؟ هل نعرفه؟ مسكين هذا المخلوق.

انظر: مازال الدم يسيل من شفتيه. انظر: لقد مات بعينين مفتوحتين. مسكين. أن يموت هكذا ككلب داسته سيارة. كل الناس ينظرون إليك، أيها الدوق. كلهم سينسون لمدة وجيزة، مشاكلهم الصغيرة، عجلتهم، غيظهم لكي يركزوا على موتك. وشيئا فشيئا يتشتتون يعودون إلى انشغالاتهم. يعودون إلى منازلهم. ويقولون لأصدقائهم... لعشيقاتهم... لأبنائهم... "كنت شاهد عيان على حادثة سير"... رأيت رجلا يموت "... أو بعبارة أخرى "رجل قتل وسط الشارع" ...ولن تعيش سوى ذكرى جريمة... ستوحي الجريمة بوجودك.

(يقف الدوق. تسمع موسيقى: هللوليا المسيح لها نديل..)

ستتحول إلى هاجس أولائك الذين رأوك تحتضر. ولكثرة ما تتذكر موتك، سيظنون أنك لازلت حيا... وفي يوم ما... أو مساء ما... عندما تعبر الطريق... عندما تفتح الباب... ستظهر عيناك البيضاوان... شبهات نظرتك... الشموس الأسيرة لعماك... مظهرك

الحممي، النسري، الوحلي، الثعباني... كل هذا سيظهر من جديد... كبقعة من الضوء... التي عندما تضيئنا... تكشف عن ظلمتنا.

(تتوقف الموسيقى. تترك دوناطا حجرة اليشم تنفلت ساقطة من يدها.)

أملي أن أنساك وأعود إلى منزلي لأعيش مطمئنة عندما أناديك أمام الملأ.

الدوق:

مطمئنة؟ من سيقدم لك الشاي، يا سيدتي؟ من سيتناول أطراف الحديث معك؟ يمكن لسيدتي أن تنسى الخادم الذي كان عاشقها، لكنها ستحتاج لشخص يخدمها...

دوناطا:

سأكتب إعلانا في الجريدة. ليس من النادر ألا نجد شخصا يبحث عن عمل.

(يأخذ الدوق المقص ويقترب من دوناطا.)

الدوق:

وهل تعرفين من سيرجع لخدمتك؟ أنا يا سيدتي. أنا من جديد، تحت قناع بذلة أخرى، وصوت آخر ووجه آخر، نفس الخادم المعتاد، الخادم الأبدي. وكل شيء سيتكرر بنفس الشكل وبالضبط، سأذهب وسأعود وسأذهب من جديد ما دامت سيدتي تبعث لي برسائل من غبار وورق ملتمسة مني أن أعود، أن أعود لأحاورها لأحضر لها الشاي، لأسكر معها، لأنيكها...

(يقبل دوناطا.)

بكل كلمة تستدعيني سيدتي.

دوناطا:

كلماتي وأنت لا تسمعها.

الدوق:

كل كلماتك كانت موجودة قبل أن تفكري فيها أو تنطقيها. الكلمات تخترقك، وما دمت بالقرب منك فإنها ستخترقني أنا أيضا قبل أن تفكري فيها أو تنطقيها، لا يهم.

(وقفة.)

أنا كذلك لا أملكها.

(وقفة.)

أنا كذلك لم أوجد قبلها.

(وقفة. يرفع الدوق المقص.)

في غيابي ستحس بي سيدتي كشيء لا يمكن ان تناديه كشيء بعيد تجهله ولذلك تحتاجه... في غيابي سأكون هاجس سيدتي وشكها... حاضرا سأكون...

دوناطا:

في غيابك (أنا امرأة معجبة بالفراغ، لقد قلت هذا.

(يضغط الدوق بالمقص على عنق دوناطا.)

الدوق:

سيدتي، لقد كتبت الرسائل، وأنا في الجبهة، لكن زوجك وقعها فقط. كتبت كل يوم، بعثت لك باسم كل الأشياء، كل الأيام إلى أن أفقدني الغاز بصري في أحد الخنادق...

(تضغط دوناطا بقبضة يدها على المقص.)

دوناطا:

كفى جبنا إذا قتلتني فستموت معي. ستموت من أجلي. ستندثر باختفاء من تشمها وتلمسها وتسمعها. هذه هي الحقيقة، حتى ولو عشت مائة سنة بعد موتي. **(تنزع المقص من يديه وتلقي به بعيدا وهي تضحك.)**

الدوق:

ما الذي يضحكك أيتها القذرة؟

دوناطا:

الرسائل. كل الرسائل التي كتبتها كل يوم.

(يتحرك الدوق.)

لا تدن مني لقد خانتك أحلامك. لم نصل إلى المكان الذي تجثم فيه عظام أبيك، بل إلى مكان شبابي أعرف ذلك. تفوح مني رائحة ذلك. إنها نفس الحديقة. حلمت باسمي.

مسكين. افتح النوافذ.

الدوق:

لا. قد يكتشفوننا.

دوناطا:

يجب أن نخرج إلى الحديقة. يجب أن نقوم اليوم بكل ما كان يبدو مستحيلا. يجب أن أبرهن لك على أن شجرة الأجاص تزهر.

الدوق:

إنها شجرة سوداء وملتوية لا غير. إنها خلقة من حبر مجمد.

دوناطا:

أحص الأيام جيدا. راقب حركة الكواكب.

الدوق:

لقد قلت لك أن فصل الشتاء لم ينته بعد. يجب أن نختبأ في السرير. يجب أن نحتمي من البرد.

يقود الدوق دوناطا إلى السرير. موسيقى الفالس.

يسيران بمهابة إلى أن يصلا إلى حافة السرير. يفترقان يسير كل واحد منهما إلى جهة من جهتي السرير.

دوناطا:

الساعة تشير إلى الخامسة مساء. ألم يحملوا الرسالة؟

الدوق:

بلي، يا سيدتي.

(تضع دوناطا يدها على بطنها)

دوناطا:

لماذا فتحتها دون أن آذن لك بذلك؟

(تمد دوناطا يديها على مقربة من بطنها.)

الدوق:

لم يكن بها سوى قليلا من التراب.

تلمس دوناطا السرير. عندما تقوم بذلك تظهر على التو هيأة رجل عار في وضعية إنسان يحلم أو إنسان ميت. عندما يميل السرير إلى الأمام يكشف لنا عن تمثال ذكر مصنوع من تراب.

الدوق:

لن تبقى سيدتي وحدها أبدا.

(تمد دوناطا يديها.)

لا تمسيه، ياسيدتي. يكفي أن تتنفسي كي تعود هذه الهشوشة الكلية إلى الهواء والأرض اللذان أتت منهما.

دوناطا:

قلت أنك ستبقى هنا. ليس أنت.

تتهاوي يدا دوناطا على التمثال المصنوع من التراب وكأنها مخالب الجوارح. يرفع الدوق يديه إلى فمها. تنبعث صرخة ألم من الدوق تخنقها دقات قلب قوية. تبقى دوناطا ماسكة بين يديها الممدوتين الذراع المصنوع من التراب. يخنق الدوق صرخته ويأخذ ذراعا بيده، يتقدم وهو يسقط أكوام الجرائد والمجلات، يسير مستعينا بعصاه إلى أن يصل إلى نوافذ مقدمة خشبة المسرح. ينزل إلى الصالة ويخرج من الجانب اليساري. عندما يفتح النوافذ يسمع ضوضاء الشارع المدوي: صوت منبه السيارات، المحركات، صوت الصفارات الحاد. تتقدم دوناطا بلا تبصر وبيدها التراب.

دوناطا:

أيها الدوق... أيها الدوق، أين أنت؟ إنني أعرف جيدا حيلك... تريد أن تفزعني. تريد أن توهمني أنك رحلت. نسيت أن سمعي جد حاد مثل سمعك. ألا تسمع صوت الظرف الذي يلقي به تحت الباب؟ لا تضيع الوقت في مراوغتي يارفيقي. أعرف أنك هنا. أسمع تنفسك أشم رائحتك. أعرف أنك تراقبني... أيها الدوق، سأفتح الظرف. سأعرف سرك.

(تصل إلى مقدمة خشبة المسرح. تنزل إلى الصالة وتسير عبر الممر حتى مخرج المسرح. يسمع صوت ريح عاصفية. صوت قائمة الباب وهي ترتطم.)

لا تشم رائحة فصل الربيع، أيها الدوق؟ تعالى... لا ترحل... ليس هناك شيء كامل... سنأعتني بك، أيها الدوق. هل فهمت؟ يجب أن نبقى معا... سأتكلف بك، سأقودك، سأكون دليلك... علينا أن نسير إلى الأمام. لا تهجرني... لا تهجرني!

(تخرج.)

وقفة. يسمع عواء الذئاب، خشخشة الأفاعي. تنطفئ الضوضاء.

من المدخل اليميني للخشبة الذي لم يستعمل لحد الآن، يظهر الدوق من جديد. يظهر من جديد بلحيته الشقراء. لكن هذه المرة يحمل على عينيه اليسرى رقعة سوداء، وعلى رأسه قبعة على شكل كأس. يرتدي سترة سوداء وسروالا بنيا، وبرجليه جزمة من جلد لامع. يحمل حقيبة مطروزة اليد يعود عهدها إلى القرن السالف. يتصرف بتأن يتخلص من الحقيبة، وينزع القفازين.

الدوق:

حبيبتي، حبيبتي. أنا هنا! لقد عدت. لدي أخبار سارة. ربحت في الروليت. أتسمعينني؟ ربحت وأنا أراهن على الأسود. اشتريت لك في الشاطئ عقدا من صدف اللؤلؤ. أتسمعينني؟ ربحت. يمكننا أن نؤدي كل ما علينا من الديون، بل يمكن أن نبني مسبحا في الحديقة.

(يتوقف الدوق.)

أين أنت، يا حياتي؟ إنه يوم الأحد. ألم أخبرك أنني سأعود يوم الأحد؟ يا مارينا... أجيبي. هل أنجزت العمل الذي كلفتك به؟

(يسير الدوق عبر الصالة وهو يهمهم، يدوس بقايا الأكل والجرائد، إلى أن يصل إلى الكومودينو ذو الأدراج المفتوحة.)

يا مارينا. أجيبي. لقد عدت إنه يوم الأحد. لي الحق أنا أيضا في الاستراحة. مارينا! أين أخوك؟ **(وقفة.)**

خبزي وخمري!

(ينظر الدوق إلى خلفية الخشبة ويقذف بهتاف جاحد.)

جرائدي! ما هذه الفوضى! كيف سأكون على اطلاع...؟

(يأخذ قنينة ويلقي بها.)

أيها الدوق ألم أمنعك من إعطائها الخمر؟ ماذا فعلت، سأعيدك إلى الوادي الذي أخرجتك منه. لا تتخبئا! أنتما معا دائما، أليس كذلك؟ سلالة المتسكعين... سلالة الخدم... أتيت بكما إلي بيتي في ساعة مشؤومة...

(ينفجر غضبا. يبحث في كل الزوايا، يفتح الدولاب، يدحرج الكراسي بدون مسند.)

اظهرا... سأطردكما... معا... لن تعودا بعد للعيش الرغيد على حسابي... ابتعدا عني، وسنرى من سيعني بكما... أقسمتما أن تتصرفا كالملائكة... يا سلالة الشياطين... لن تغنما شيئا باختبائكما... أنا أعرف وجاركما، أيها الثعبانان... أنا نعم، يمكنني أن أرى. أيها الأعوران... المجرم يعود دائما إلى مكان جرائمه... لن أتحرك من هنا... وستكون هذه هي طريقة مطاردتي لكما... سأبقى في البيت وثمة سأنتظركما.

(يسير إلى جانب السرير.)

الهي! يا مارينا! أيها الدوق ! ما هذا السرير... إلهي... سريرنا... في سريرنا! يسقط مطعونا قرب السرير. يجبره صوت معدني مدوي ومفاجئ على رفع رأسه. من خلفية الخشبة، من الجانبين، من جانب الدولاب ومن الباب يتوجه نحو الدوق خمسة رجال عصابة مسلحين بالرشاشات ولهم لحي ويلبسون بذلات الميدان مقنعة تشبه جلد الثعابين. بالإضافة إلى ذلك يظهر قائد الفرقة ملفوفا في فروة ذئب. يحيطون بالدوق.

القائد:

ماذا تفعل هنا؟

الدوق:

كيف...؟ إنه منزلي... إنه بيتي...

القائد:

أثبت ذلك.

(يرتبك الدوق. يعطي القائد الأوامر للآخرين كي يصوبوا رشاشاتهم. يمد الدوق يديه متوسلا.)

الدوق:

لا، لا ... ليس بمنزلي... ليس لي...

القائد:

ماذا تفعل في منزل ليس لك؟

(يسقط الدوق على ركبتيه وهو يتوسل.)

الدوق:

لا ... أرجوكم... يمكن لخادمي أن يفسرا لكم كل شيء... مارينا ! يا أبنائي ! عدا!. أرجوكما ! يعطي القائد الأوامر مرة أخرى. يطلق الرجال الأربعة الرصاص على الدوق المطعون. يخر ميتا. تسمع موسيقى: غارديل يغني "وداعا يا أطفال"، يلقي القائد الرشاشة على كتفه، يسير إلى مقدمة الخشبة، يمسك بالستار ويجره تدريجيا وهو ينظر صوب الجمهور. ظلام مطلق في مقدمة الخشبة باستثناء الضوء القوي المسلط على وجه المحارب I والذي يرغم عينه على أن تطرفا وعلى حجبهما بيده، إلى أن ينسدل الستار نهائيا. يختفي. يستمر التانغو.

اللاديقية، يونيو 1967.

لندن، يناير 1968

سيدة ـ دوناطا ـ وخادمها ـ الدوق ـ يعيشان في بيت مهجور، كلاهما أعور، لكن كل واحد منهما يعتقد أنه هو وحده الأعور، وأن الآخر سليم البصر، كل واحد منهما يعتقد أن الآخر حارسه ودليله، السيدة تنتظر حماية خادمها، والخادم ينتظر حماية سيدته، وهما معا ينتظران منذ ستة أيام عودة السيد زوج السيدة : الأحداث تجري في ليلة ما قبل اليوم السابع.

لكن من هو السيد الذي يرى ويعرف كل شيء، هذا الغائب الكبير الذي يحدد بصرامة قوانين تسيير بيته وبعد ذلك يترك من يسكنان فيه عرضة لمغريات الحرية ؟

«المرآة» تعتبر مؤلفا حول الخلق. ويضيف المؤلف كارلوس فوينطس : «يريد المخلوق أن يغتال الخالق لكي يحتل موقعه غير المرغوب فيه، لكي يتخلص على الأقل من نظرته، لكن عندما يقوم بذلك، فإنه يجعل تصوره الخاص متساويا مع الموت، وبذلك لا يبقى لديه سوى حل واحد : تذليل عدوه، الخالق، يحول الحياة إلى المسرح، إلى عرض منعكس للإبداع، لكن ليس هناك إبداع بدون خطيئة، تنتظر الخطيئة الممثل بعد كل كلمة ينطقها. إن مخاطرة العرض ليست إلا رهانا شجاعا على مخاطرة العيش».

الثمن :
15 درهما